مركز البحوث العربية
للدراسات العربية والأفريقية والتوثيق

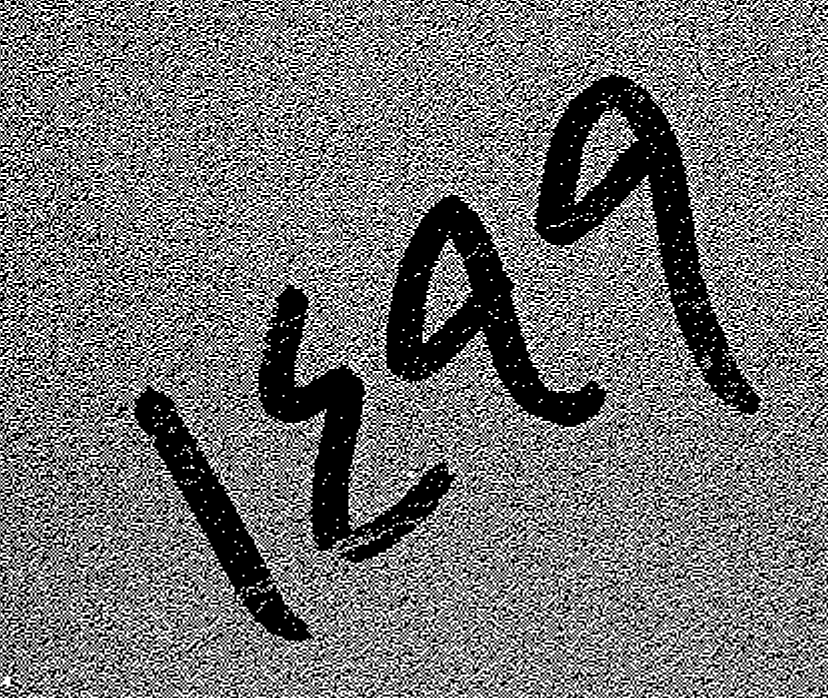
لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية
المصرية حتى عام ١٩٦٥

سلسلة ورش عمل التوثيق – ٤

الفلاحون

فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

- أحمد سليم
- السيد يوسف
- جمال غالى
- حامد الموجى
- شاهندة مقلد
- شريف حتاتة
- عبد الخالق الشهاوى
- عبيد عياد
- عريان نصيف
- محمد الجندى



تحرير : عريان نصيف
تصدير : د. عاصم الدسوقى

مركز البحوث العربية ... يقية والتوثيق

لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

سلسلة ورش عمل التوثيق ـ ٤

الفلاحون في الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥

- أحـ... ـليم
- الـ... ـسف
- بـ... غـ... ـالى
- حـسـام ... ـموجى
- شـ... ـاهندة مـ... ـقلد
- شـريف حـتـاتة
- عبد الخالق الشهاوى
- عـبـيـد عـيـاد
- عـريان نصـيف
- مـحـمـد الـ... ـندى

تحرير : عريان نصيف

تصدير : د. عاصم الدسوقى

اسم الكتاب : الفلاحون فى الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥
المؤلف : أحمد سليم وآخرون
تحرير : عريان نصيف
إعداد فنى : ناهد عفيفى / مركز البحوث العربية
عنوان المركز : ٨/١٠ ش متحف المنيل - روضة المنيل
تليفون وفاكس : ٢٠٥١١٣٦
E.MAIL : arc@ie-eg.com

رقم الإيداع : ١٨١٠٤ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : ISBN 977-279-370-9

الطبعة الأولى
٢٠٠٢

تصـــديـر

د. عاصم الدسوقي

هذه شهادات ذات جاذبية خاصة لأكثر من سبب ، فهي تختص بنضال الشيوعيين المصريين وسط الفلاحين، على حين أن أدبيات الحركة الشيوعية بشكل عام تختص بالنضال بين عمال الصناعة فى المدن وكذا طلاب المدارس والجامعة. ومن ناحية أخرى فإن الذين تولوا قيادة الفلاحين وعملوا على تثويرهم هم أساسا من أبناء المدن الذين لا يعرفون حياة القرية حق المعرفة ، ولأنهم "احترفوا" النشاط الشيوعى فقد كان عليهم الإقامة بالبلاد التى تم تكليفهم بالعمل بها إقامة كاملة وسط الفلاحين لتكوين "الكادر" المحلى. وعلى هذا لنا أن نتصور كيف كان هؤلاء يدخلون القرية ويتعاملون مع أهلها دون أن تبدو عليهم ملامح الغرباء ، وحتى لا تتنبه السلطات فتقوم بملاحقتهم ، ولنا أن نعجب بهم وأن نفخر ، وأن نقدر جهدهم حق التقدير.

ورغم الكتابات الكثيرة عن أوضاع الفلاحين فى مصر قبل قانون الإصلاح الزراعي (سبتمبر ١٩٥٢) التى أفاضت فى الحديث عن تركز ملكية الأرض الزراعية ، وسوء حياة الفلاح ، فإن هذه الشهادات تكشف عن نوع آخر من العلاقات الإنتاجية فى الريف أهملته تلك الكتابات وخاصة فى الصعيد حيث ترتفع نسبة تركيز الملكية. ومن تلك العلاقات أن المالك الصغير جدا لبضعة قراريط كان يجبر على بيع محصوله "لأسياد القرية" بسعر بخس ، ثم يقوم هؤلاء "الأسياد" ببيع محصول الفقراء بعد تجميعه لحسابهم وكأنهم

يقومون بدور "تاجر الجملة" أو "شونة الحكومة" زمن الاحتكار أيام محمد علي باشا.

ومن تلك العلاقات أيضا وجود نوع من تأجير الأرض لمستأجرين صغار يعرف "بالتأجير العينى" ، وهو يختلف عن "المزارعة أو المشاركة"، وفيه يقوم المستأجر بتوريد حصة معينة من المحصول للمالك حسب الاتفاق. وأحيانا تكون الحصة أكبر من محصول الفدان (خمسة قناطير فى حالة القطن وسبعة أرادب فى حالة القمح وستة أرادب للفول ..) مما كان يشكل عبئا ثقيلا على المستأجرين.

كما تكشف هذه الشهادات عن صورة تقترب إلى حد ما من صور الإقطاع الأوربي عندما كان صاحب العزبة يقوم ببيع عزبته بمن عليها من فلاحين ومواشٍ ومبانٍ وأشجار. وفى بعض العزب كان الفلاحون يربطون بالسلاسل وهم يعملون فى الأرض حتى لا يهربوا لأنهم كانوا يعملون سخرة بلا أجر. كما كان يحظر على فلاح العزبة لبس الطاقية فوق رأسه أمام أفراد عائلة صاحب العزبة ، ويتعين عليه الوقوف عند مرور أحدهم بالطريق ، فضلا عن رفض أولئك الملاك أصحاب العزب تعليم أولاد الفلاحين التعليم الإلزامى لأن من شأن التعليم أن يغير الطبيعة الخشنة للفلاحين ويكون بداية لتمردهم على الأوضاع والثورة عليها.

كما تكشف الشهادات عن حقيقة لها أهميتها تتعلق بطبيعة الجهاز الإدارى فى مصر وتؤكد ثبات وظيفته رغم الإصلاح الزراعى ، فقد ظل المسئولون فيه يقفون فى صف الملاك وليس فى صف الفلاحين. وكثيرا ما وقفوا ضد تكوين نقابات عمال الزراعة رغم النص عليها فى قانون الإصلاح الزراعى. كما لم يتصد هذا الجهاز لتطبيق الحد الأدنى لأجر عامل الزراعة

وهـو ١٨ قرشا فى اليوم حيث وصل إلى عشرة قروش فى بعض الجهات ، حتى بدا "أن الضباط يمتطون جهازا ليس معهم" على حد قول أحد أصحاب هذه الشهادات.

ولكـن .. ورغـم هـذه المواقـف مـن الجهـاز الإدارى ، ورغـم اخـتلاف الفصائل الشيوعية بشأن "حركة الضباط الأحرار" بين اعتبارها ثورة أو انقلابًا وبين تأييدها أو الوقوف ضدها .. إلخ ، إلا أن هذه الفصائل استثمرت قانون الإصلاح الزراعى فـى العمـل وسـط الفلاحـين لمواجهـة المـلاك الخاضـعين للقانون الذين أنذروا الفلاحين (الملاك الجدد) بترك الأرض التى امتلكوها. كما اجتهد الشيوعيون فى التصدي للمقاولين الذين كانوا يحاولون اختراق صفوف قـيادات عمـال الـزراعة بطـريقة أو بأخـرى عـن طـريق إغـراء تلـك القيادات برفع أجرها اليومى على حساب باقى العمال.

كما وقفت القيادات الشيوعية فى الريف بحماس وراء تجربة التجميع الـزراعى فـى قـرية "نـواج" بالغربـية والعمـل عـلى إنجاحهـا لـتكون نموذجـا يحتذى لتطبيقه فى سائر قرى الإصلاح الزراعى. غير أن التجربة لم تستمر إذ وقف الجهاز الإدارى الحكومى ضدها وعمل على تصفيتها خاصة بعد حملة اعـتقال الشـيوعيين فـى يـناير ١٩٥٩ واعـتبرت تجـربة شـيوعية. ولهـذا لم يكـن غريبا أن يقول أحد كبار المسئولين فى الجهاز الحاكم "إن الشيوعية جريمة اجتماعية وليست سياسية".

على أن هـذه الشهادات من ناحية أخرى تكشف عن صعوبة العمل وسط الفلاحـين بالقـياس للعمـال والطـلاب وذلـك مـن أجـل إيجـاد كـادر شـيوعى منهم، يعمـل عـلى تـثوير تفكيرهـم القـدرى إلى حـد بعيد. ولعل هذا يفسر كما لاحظـت الشـهادات عـدم وجـود مـن يمـثل الفلاحـين فـى اللجـنة العليا للطلبة

والعمال فى فبراير ١٩٤٦. وقد يفسر أيضا اهتمام "حدتو" فى ١٩٤٧ بتكوين لجنة للعمل فى الأقاليم من بين المحترفين ترفع شعار "الأرض لمن يفلحها"، وتقوم بترويج الأدبيات الماركسية وغيرها حول المشكلة الزراعية.

وعلى هذا فإن وجود كادر شيوعى من أبناء الفلاحين الذين تعلموا فى المعاهد الدينية كان يعد مكسبا كبيرا للحركة الشيوعية المصرية التى نجحت من خلال هؤلاء فى توظيف القيم الدينية لصالح الفقراء وليس الأغنياء أصحاب السلطة. ولهذا نجح هذا الكادر الذى كان أقرب للفلاحين فى استخدام التجمعات العادية فى القرية مثل المسجد أوالمقهى أو دكان الحلاق لتنوير الأذهان بحقيقة الأوضاع. وكان هؤلاء قد تعلموا الكثير من نشرات التثقيف الشيوعى فضلا عن كتابات سلامة موسى وطه حسين وخالد محمد خالد.

وعندما تأكد الإصلاح الزراعى، وزاد عدد المنتفعين، وانكسرت شوكة العائلات القديمة إلى حد كبير، وأخذ رجال الثورة مهمة الكادر الشيوعى فى تثقيف الفلاحين وتنمية وعيهم وربطهم سياسيا بتنظيمات الثورة، اعتبرت الحركة الشيوعية أن هذا دليل على نجاحها.

حقا .. ما قيمة حرية الفرد إن لم يناضل من أجل الحرية للوطن، ولقمة العيش للشعب، والازدهار للثقافة، والكرامة للإنسان على حد قول أحمد سليم فى شهادته.

هـذه الـورشة

نظراً للظروف الصحية والخاصة لقيادات النضال الفلاحي اليساري منذ الأربعينيات حتى عام ١٩٦٥،فقد تم اللجوء إلى عدة وسائل لتوثيق رؤى وخبرات هؤلاء المناضلين، حتى يمكن تجميعها وتضمينها في هذا الكتاب:

*الحديث المباشر- لأغلبية الزملاء- في ورشة العمل البحثية التي عقدت لهذا الشأن مساء ٢٨ ديسمبر ٢٠٠١، بمركز البحوث العربية بالقاهرة.

*تسجيلات تم إجراؤها لبعض الزملاء - كل على حدة- في مواقعهم.

*شهادات مكتوبة، قدمها بعض الزملاء، عن دورهم ورؤيتهم للعمل الفلاحي في تلك الفترة.

كما تم حوار في ورشة العمل مع بعض الزملاء، اضطررنا لتضمين إجاباتهم حوله في كلماتهم، لعدم تيسر الحوار- كما أسلفنا- مع المجموعة متكاملة.

وقد شارك في التساؤلات والحوار، كل من:

- د.عاصم الدسوقي.
- د.سيد العشماوي.
- أ.حلمي شعراوي،من مركز البحوث العربية.
- أ.حنان رمضان،من مركز البحوث العربية.
- أ.رمسيس لبيب، من لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية.
- أ.عماد عبيد.

منسق ومحرر الورشة: عريان نصيف

شهادة أحمد سليم

أنا عامل زراعي من مواليد سنة ١٩٢٨. نشأت يتيما حيث مات والدى ليلة ميلادى، وتركنا أنا ووالدتي وأختي وأخوتي، بدون أي مورد أو مصدر للرزق، فقامت والدتي بالعمل فى الحقول لتربيتنا.

طلبت للمدرسة الإلزامية بدقهلة فى سن الثامنة وكنت الأول على المدرسة فى كل السنوات الخمس ، وبعدها – ولظروفنا المعيشية السيئة – تركت الدراسة للعمل ومساعدة والدتى وكان ذلك فى أوائل الأربعينيات وظروف الحرب العالمية الثانية. كان الغلاء فاحشا والأجر زهيدا لا يتجاوز قرش صاغ، فى نقاوة القطن من الدودة أو جمع القطن أو أى عمل من أعمال الزراعة.

عندما بلغت السادسة عشرة، حاولت أن أعمل مع الرجال فى شق الترع وزراعة المحاصيل وجنيها حتى أحصل على أجر "رجل"، وكان لا يتعدى ثلاثة قروش.

بدأنا نسمع – فى أواخر الأربعينيات – من بعض الطلبة الذين كانوا يحضرون فى الإجازات الصيفية كلمات جديدة علينا، وأحداث خطيرة لم نكن نعرفها. حدثونا عن حقنا فى أجر أكبر وكيف أننا نعيش فى ظلم وأننا لن تتحسن حياتنا إلا إذا اتحدنا.

وعرفت الاشتراكية عن طريق هؤلاء الطلبة الذين كان كلامهم – الذى لم نكن نعيه تماما إلا أنه كان حبيب إلى قلوبنا لأنه يفتح لنا باب الأمل فى حياة إنسانية كباقي الناس.

ارتبطت بالحركة الشيوعية (حدتو) وأنا عمرى بين ١٨،و٢٠ سنة.وقمت

بتنظيم الفلاحين والعمال الزراعيين فى الحركة، للدرجة التى أصبح فيها ٣٥ قرية وبلدا كان فيها التشكيل الشيوعى فى هذه المنطقة وباقى الدقهلية ودمياط.

وكنا نسمع - ونتقوى - بمعارك أخرى يقوم بها الفلاحون والأجراء فى مناطق أخرى كبهوت وكفور نجم والصعيد أيضاً، ضد الملاك الكبار وضد ظلم الفلاحين.

وبعد قيام الثورة فى ١٩٥٢، حاولنا- كما يتيح لنا قانون الإصلاح الزراعي- تشكيل نقابات لعمال الزراعة، ولكن المباحث وقفت ضد ذلك، ولم تسمح إلا للأشخاص الذين لا يمثلون العمال بتكوين لجانهم، أما النقابات المحدودة التى أفلتت من هذا الحصار، فظلت المباحث تطاردها حتى صفّتها تماما وخاصة بعد القبض عليّ أنا وعدد كبير من عمال الزراعة.

ولم نسكت على ذلك، وخضت مع عمال الطوب (وهم عمال زراعيون) معارك كبيرة حققنا فيها بعض المكاسب والارتفاع النسبى فى أجور العمال. ثم تحملت مسئولية إضراب للعمال - اشترك فيه عمال من سبعة بلاد (.... ودقهلة وسيف الدين والبراشية)- للتصدى للعبة التى كانت تتم من خلال المقاولات الكبيرة لتطهير الترع ،والتى كنا فيها لا نحصل سوى خصم نصف أجر العامل الذى كان عشرة قروش بالمخالفة للقانون الذى كان ينص على ١٨ قرشًا.

كانت معركة كبيرة طالبنا فيها أن نتولى مقاولات صغيرة نستطيع أن ننجزها فى الموعد المحدد، وأن يصرف للعامل أجره القانونى وهو ١٨ قرشًا.

وحاول المسئول عن العملية استمالتي - بعيدا عن باقى العمال - بأن عرض عليّ إعطائي ١٠ جنيهات كل ١٥ يومًا، وأن يبنى لى بيتى (وهو بالطوب النيء) بالطوب الأحمر (حيث كان يملك مصانع طوب).

رفضت ذلك – بطبيعة الحال – وفضحت مؤامرته تلك أمام العمال المتجمعين. فقاموا بالهتاف لي وازدادت ثقتهم بدوري – والحزب الذى أعتنق مبادئه – في سبيل مصالحهم وعدم قبولنا أي مساومات لمصالحنا الشخصية على حساب مصالح الناس.

وكانت نتيجة ذلك، تكوين سبع نقابات (في البلاد التي شاركت في الإضراب) ورفضت الرئاسة – لانخراطي في العمل السياسي من خلال "حدتو" وعدم تفرغي الكامل لهذه النقابات – وقمت بترشيح أحد العمال من الذين شاركوا في الإضراب، للرئاسة.

كنا نحرص على زيادة وعينا – لكي نستطيع أن نزيد بدورنا وعي الفلاحين وعمال الزراعة – من خلال الاجتماعات والمناقشات مع الزملاء من ناحية، ومن خلال القراءة للمجلات التنظيمية العلنية (مثل الواجب والملايين والكاتب)، والسرية (كجريدة مكتب الفلاحين)، وكذلك من خلال الاستعانة بكتب دار الفكر والكثير من الكتب الجميلة التي كانت ضد الظلم، ومن أجل الحرية مثل كتاب "من هنا نبدأ" للأستاذ/ خالد محمد خالد.

وكنا – بالإضافة لدورنا الحزبي والجماهيري – نقدم للحزب دراسات واقعية عن مشاكل الفلاحين بفئاتهم المختلفة.

وكان أيضاً لنا دورنا في العمل الوطني والتصدى للاستعمار.

*ففي عام ١٩٥٦ تطوع ١٣ فلاحًا من القرية للقيام بالأعمال الفدائية ضد قوات العدوان الثلاثي في بور سعيد، وقمنا بالتدريب في معسكر الحلمية (بالزقازيق)، ووزعوا علينا السلاح، وبعد وقف القتال – بعد الإنذار السوفيتي– سحبوا منا السلاح. كان بالمعسكر حوالي ٢٠٠ فلاح من دقهلة وباقي القرى.

*ووقفنا ضد " مشروع أيزنهاور " عام ١٩٥٧، وهتفنا في المؤتمرات التي

كان يعقدها حمدي عاشور، بسقوط الاستعمار الأمريكى والإنجليزي والنقطة الرابعة.

واعتقلت بعد المؤتمر الذى عقد فى "الزرقا"، والذي رددت فيه هذه الهتافات،وكذلك شعارات "أطلقوا الحريات، الحكم للشعب".

سجنت واعتقلت مرات عديدة - مع الزملاء المناضلين - للدفاع عن حقوق الفلاحين والعمال ومصالح الوطن والشعب.

ومع استمرار دفاعى عن هذه المبادئ - وبعد الإفراج عنى من السجن عام ١٩٦٤ بعد حملة ١٩٥٩ - اعتقلت مرة أخرى فى ١٩٦٨/٣/٢٦.

ولكن .. ما قيمة "حرية" الفرد، إن لم يناضل من أجل الحرية للوطن ولقمة العيش للشعب والازدهار للثقافة والكرامة للإنسان؟!

شهادة السيد يوسف

بدأنا العمل السياسي في السنوات الأخيرة من الأربعينيات، ولم تكن هناك مؤسسات جماهيرية ولا نقابات ولا اتحادات للفلاحين ولا نوادى رياضية أو ثقافية. فالمدرسة الأولى التى يمكن أن يتدرب فيها الفلاح أو العامل غير موجودة. كل المجالات التى يمكن أن يتقابل فيها الناس أو تنظم حياتهم هى عبارة عن "العائلات"، تجهز كل منها غرفة يتلاقون فيها فى المناسبات والأعياد، أو على المقاهي، أو فى المسجد.

أما الواقع الاجتماعى الذى كنا نعيشه، فكان عبارة عن:

*الإقطاع الذي يملك آلاف الأفدنة.

*العمال الزراعيين وجماهير الفلاحين.

*فئات بسيطة من "الناس المستورين".. الذين يحيون حياة لا هى شديدة العوز ولا فاحشة الثراء.

وُجدنا فى هذا الجو وهذه البيئة الاجتماعية. وكنا نكيف ظروفنا، فنتقابل مع الناس على المقهى أو فى المساجد أو على المصاطب أو محلات "المزينين".

كنا مجموعة من المثقفين الأزهريين (أربعة)، وحولنا عدد قليل من المتعلمين، فلم يكن التعليم منتشراً فى ذلك الوقت، وكان المتعلمون فى القرى يعدون على الأصابع. وكنا نحن الدفعة الثانية التى تعلمت فى البلد.

كنا كشباب نقرأ ونطّلع، فعندما نأتي إلى القاهرة نذهب إلى سور الأزبكية ونحصل على الكثير من الكتب.. لسلامة موسى وميخائيل نعيمة، و"مجلتى"، وأذكر أننى قرأت لميخائيل نعيمة مقالا فى الهلال يتحدث فيه عن ضرورة دراسة الماركسية إذا أردت أن تكون مثقفا، وعن التطور التاريخى، وأيضاً تحدث سلامة موسى عن هذه الأمور فى كتبه، التى جذبتنا وولدت لدينا الرغبة فى دراستها وفهمها.

وكنا أيضاً - كطلبة أزهريين- نقرأ كتبا إسلامية كثيرة، وأدركنا ما في الإسلام من عدالة اجتماعية.

كنا نقرأ هذه الكتابات بشكل جماعي.. يقرأ أحدنا والباقي يستمع إليه، ثم يدور بعد ذلك بيننا الحوار والنقاش حول ما قرأناه.

مجموعة من المثقفين- أو المتطلعين إلى الثقافة - ليسوا عمالا ولا فلاحين ،وإن كانوا أبناء عمال وفلاحين، لديهم شوق ثقافي، ويرقهم استعمار بلادهم، ويحيون واقعا اجتماعيا ظالما للفلاحين والفقراء.

مجموعة تبحث عن طريق للخلاص، وتبحث عن أي جهة أو تنظيم يرفع شعارات هذا الخلاص ويعمل من أجل تحقيقه.

ثم تفرقنا.. كنا في معهد دمياط، ولكن ذهب البعض إلى الزقازيق، والبعض إلى القاهرة. وكان لنا بعض الاتصالات بشخصيات هامة مثل حامد الموجي الذي عرفناه من أيام التلمذة في دمياط، وزادت قراءاتنا ومعارفنا، وبدأ الموضوع يتشعب.

ففي القاهرة والزقازيق، قامت علاقة بيننا وبين بعض التنظيمات الشيوعية كتنظيم "حدتو" (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني). وكان أول شخص أتى إلينا هو فؤاد حبشي.

كنا مجموعة سلوكها الاجتماعي نقي كالمتصوفين، ولسنا كالشباب العابث، بل كانت لدينا روح متعالية على الصغائر جعلت بلدنا تثق فينا وتحترمنا، فعندما كنا نحضر دروس شيخ الجامع، كنا نناقشه ونعارضه (كان مذهبنا حنفيا ومذهبه شافعيا)، ولقد كان يراعي كثيرا وجودنا، فعندما كان يعرض موضوعا يقول "هذا رأي الشافعية، ولا أعلم ما هو رأي الحنفية"، إحساسا منه بمنطقنا القوي.

بدأ شباب القرية يلتف حولنا وبدأنا نجند هؤلاء الشباب. كان منهم المتعلم وغير المتعلم. فقد التف حولنا عدد كبير من شباب الفلاحين، كما حدث في قرية "ميت الحلوج" مركز دكرنس عام ١٩٤٩ وأوائل الخمسينيات.

إذن .. التنظيم الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية، والرغبة في تغيير حالة

البؤس والاستبداد والقهر، واقتصار مواطن تلاقى الناس على المقاهى والمصاطب والمساجد، كانت هى العوامل التى جعلت بعض المثقفين - وهم قلة - يبحثون عن طريق للخلاص من الاستغلال الإقطاعي والفوارق الاجتماعية والطبقية البشعة، والجهل والتخلف، والفقر والركود.. آملين فى تحقيق ما اطلعوا عليه من عدالة اجتماعية فى الإسلام- رغم الفتاوى الزائفة لفقهاء السلطة الخائفين المضللين- وقد دعم موقف هؤلاء المثقفين قراءاتهم لكتابات المستنيرين من الكتاب كسلامة موسى وطه حسين وميخائيل نعيمة وخالد محمد خالد.... إلخ.

هذا بالإضافة إلى الاحتلال الأجنبى ونهب ثروات البلاد، مما كان يستفز المشاعر الوطنية. كانت هذه إذن هي الدوافع التى أدت بمجموعة المثقفين تلك للحركة والبحث عن طريق للخلاص.

أما البحث عن الفكر اليسارى وتنظيماته التى سمعوا عنها، فلقد كان بهدف التفاعل معها.

وأما عن استقطاب عدد من شباب الفلاحين، فلقد كانت هذه هى الطريقة الوحيدة التى ساعدتنا على توصيل آرائنا للناس، فى ظل عدم وجود نقابات أو تنظيمات أو اتحادات. وكنا ندعوهم إلى التحرك معنا من أجل الإصلاح الزراعي ومن أجل - أيضاً - إقامة النظام الجمهوري محل الملكي. ورغم عدم ثقة الناس فى إمكانية تحقيق هذا الكلام، فإنهم كانوا يتعاطفون معنا للعلاقات الحميمة بيننا وبينهم.

فكنا نأتى بالمحاضرات التى تصل إلينا ونحاول أن نقرأها كمثقفين، ونقوم بعمل جلسات للفلاحين لنشرحها لهم ونحدثهم عن الإصلاح الزراعي الذي ننشده.

كانت أجور العمال الزراعيين فى ذلك الوقت ضعيفة جداً، وعندما طلب من "برهان نور" (أحد كبار الملاك وواسعى السلطة والنفوذ)، أن يزيد أجور الفلاحين، قال "لو زدتهم لسرقوا أكثر". كما رفض أيضاً المساهمة فى التبرع من أجل بناء معهد فى المنصورة لتعليم أبناء الفلاحين، قائلا- من منطلق

تمسكه الشديد بالفوارق الطبقية - "من سيخدمنى ويعمل لدىّ إذن، إذا كان الفلاحون سوف يتعلمون"؟

ولهذا كنا نهتم بتثقيف الفلاحين، ونحدثهم عن اتحاد الفلاحين والنقابات، ووجوب زيادة الأجور، حتى أن أحد الشعارات التى رفعناها فى انتخابات الثورة" من أجل الـ ١٨ قرش" (حيث كانت الثورة قد حددت ثمانية عشر قرشا كحد أدنى لأجر العامل الزراعى ولم يكن هذا ينفذ).

ولقد كانت هناك الإيجارات المرتفعة واستغلال الفلاحين فى العلاقة الإيجارية وكنا نطالب بتخفيض الإيجارات -على المستأجرين- وزيادة أجور عمال الزراعة، ولهذا اجتمع حولنا عدد كبير من الفلاحين، أصبحوا أعمدة فى الحركة الزراعية والفلاحية، ولكن أصبح ولاؤهم للحكومة، لأننا حينما خرجنا من المعتقل عام ١٩٦٤، كانت الأرض مسحوبة تحت أرجلنا. (وقد أدى هذا إلى التحول الذى أوصلنا إلى حل الحزب). ولقد قصم هذا الوضع ظهورنا، حيث خرجنا من المعتقل فوجدنا أن الذين حاربنا وكافحنا من أجلهم خمس سنوات، لم يصبحوا معنا. يقابلوننا باحترام وقلوبهم معنا، ولكن " سيوفهم مع بنى أمية ".

قبل بداية الثورة، فى أثناء الكفاح المسلح فى القنال بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦، قمنا بعمل مظاهرة فى البلد وأرسلنا تلغرافات باسم بلدتنا، وقمنا بعمل لجان وطنية ليتطوع الناس من خلالها، ولكن الوقت كان محدوداً. حيث تم حريق القاهرة، وقامت الثورة. فلم تتمكن هذه اللجان الوطنية من تنفيذ مستهدفاتها فى الحرب ضد الاحتلال. حاولنا أن نستغل قيام الثورة بعمل اتحاد للفلاحين.

فاجتمع عدد كبير من شباب الفلاحين فى القرية، وحاول الإخوان المسلمون فى ذلك الوقت أن يقيموا شعبة فى بلدنا فهزمناهم وأفشلنا مشاريعهم فى قريتنا، ولكنهم استطاعوا أن يستقطبوا بعض الأشخاص لعمل شعبة لهم فى القرية. وقد أرشد هؤلاء الأشخاص عن اجتماع الفلاحين وأبلغوا الشرطة، التى حضرت وقبضت على كل المجتمعين وأرسلوهم إلى

مركز دكرنس، فتظاهر أهل البلدة أمام المركز حتى اضطر المركز إلى الإفراج عنا، فأقام أهل القرية الأفراح ووزعوا الشربات.

وبدأت القرية تمد جسورها للقرى المجاورة نتيجة تجنيد عدد كبير من أبنائها، حتى أصبح هناك حوالى عشرين قرية بها نشاط يشبه نشاطنا تقوده المجموعات الموجودة فى كل بلدة. أما شعبة الإخوان التى تكونت فى قريتنا، فلقد استمرت جهودنا لتصفيتها حتى تمت هذه التصفية.

وانضم أغلب أعضاء الشعبة – ومنهم كثيرون من طلبة الأزهر – إلينا واعتقلوا معنا مثل فتحى مجاهد ومحمد الإمام وأحمد العادلى.

جاء العدوان الثلاثي، مما أعطانا فرصة لعمل جماهيرى واسع. فلقد أرسل لنا جيش التحرير سيارة كنت مسئولاً عن الذهاب بها إلى القرى لأخطب فى الناس – فى المساجد والمقاهى والتجمعات– حتى يتطوعوا للمعركة. وكنت ما إن أذهب إلى أي مكان حتى أعود بالسيارة مليئة بالمتطوعين، فأذهب إلى المنصورة حيث مكتب عبد الله الزغبى المحامى، ومنه إلى الزقازيق وطويحر ولقد تدربنا فى طويحر، وذهب خمسة من أبناء القرية – بعد ذلك – متسللين إلى بور سعيد عن طريق بحيرة المنزلة لينضموا إلى العمل الفدائى داخل بور سعيد ضد العدوان الثلاثي.

فى مواجهة "مشروع ايزنهاور" عام ١٩٥٧، قمنا بعمل عريضة طولها ١٤ مترًا وتحرك معي محمد عمارة وزملاء ومواطنون آخرين من القاهرة، من الجامعة والأحياء الشعبية– تعلن رفض الشعب المصرى لهذا المشروع الأمريكى الاستعماري– وتحرك بها الفلاحون، وذهبنا بها إلى وكالات الأنباء والجرائد الرسمية كالأخبار (التى أخذت لنا صورًا كثيرة ونشرت العريضة، وكذلك ذهبنا إلى الأهرام والجمهورية.

أما انتخابات مجلس الأمة فى نفس العام (١٩٥٧)، فلقد كانت مدرسة لنا، فتحت الطريق أمامنا لعمل جماهيرى واسع، ومكنتنا من دراسة خريطة القرى، وعرفنا مداخل ومخارج كل قرية، كيف تدخل إلى القرية عن طريق عنصر جيد، أما إذا كان سيء السمعة فلن تستطيع دخولها مرة أخرى. وعرفنا

الأشخاص المؤثرين فى كل قرية والتناقضات الداخلية بها. كانت الانتخابات إذن مدرسة كبيرة تعلمنا منها الكثير.

لقد جعلت معركة العدوان الثلاثي وانتخابات ١٩٥٧، من اليسار المصرى قوة كبيرة جماهيرية مهابة ومعترف بها شعبيا ويحسب لها ألف حساب.

كنا فى هذه الانتخابات قد قمنا بترشيح زميل واحد هو أحمد عبد الرازق حيث كان مدرسا بالمدرسة الثانوية وعلى علاقة طيبة بطلبتها المنتشرين فى القرى، فقاموا له بدعاية هائلة.

وبعد أن تم الاعتراض على ترشيح هذا الزميل، تدارسنا الوضع ورشحنا الحاج عبد الحليم مجاهد. واستطعنا - من خلال هذه المعركة - تكوين نادى للشباب وعمل مكتبة ثقافية بالقرية.

ومع اعتقالنا عام ١٩٥٩، ثم استغلال الفراغ الذى تركناه فى القرية، حيث ظهر بعض الأشخاص- وكانوا "بلطجية" - واعتبروا أنفسهم أشخاصا مهمين، يدعون المخبرين ويساعدونهم فى السيطرة على البلد. وعندما خرجنا من السجن وجدنا الوضع مدلهمًا .

كان الإصلاح الزراعي والتجميع الزراعي والجمعية التعاونية، خطوات كبيرة. لكن بالرغم من هذا كانت هناك انحرافات. فلقد حاول الإقطاعيون تهريب الأرض، وتتبعنا هذه القضية، وكان ممثلنا للاتصال بلجنة تصفية الإقطاع هو عبد الله الزغبى فى لجنة تصفية الإقطاع بالدقهلية. وكنا نعمل تحقيقات صحفية أنا وزميلى حسين عبد ربه، وكنا ننشر فى جريدة "المنصورة" العديد من المقالات عن الإصلاح الزراعي والمسألة الزراعية فى مصر وكيفية الخروج من أزمتها. وتتبعنا كثيراً من الانحرافات الموجودة فى بعض البلاد، سواء من ناحية توزيع أراض على أشخاص لا يستحقونها وحرمان الفلاحين منها، أو الانحرافات فى سرقة الآلات والصيانات.

وكان هناك رد فعل سياسى لما كنا نكتبه فى "المنصورة" وبدأ المحامون يتحركون مع الفلاحين بل كان هناك أيضاً استجابة من القضاء لتحركات الفلاحين.

وفي عيد الفلاح عام ١٩٦٥، قمت أنا وعبد السلام الخشان بعمل كتيب عن الإصلاح الزراعي.

وفي تلك الأيام بدأ التمهيد لإقامة "أمانة الدعوة والفكر" فانضممنا إليها وقدمنا لهم الاقتراحات والدراسات لعمل قوافل توعية ونقابات ومحو أمية وعديد من الدراسات الفلاحية والاجتماعية، فكانوا يأخذون منا هذه الدراسات ويضعونها في الأدراج ويفعلون ما يريدون. ووصل الأمر إلى محاولة تحقيق هدفهم وهو تجميد نشاطنا، بل ومطاردتنا للرحيل خارج الدقهلية كلها. وبالفعل- حيث لم يكن هناك من يريد أن يستمع إلى شكوانا، ومع إصرار المسئولين على تعويق أى تحرك لنا فى المحافظة، ذهب عبد الله الزغبى إلى القاهرة، وحسين عبد ربه إلى الإسكندرية، وعندما ناقشت المسئولين في المباحث العامة فى هذا الإهدار لطاقاتنا الإيجابية، كان ردهم "بكل صراحة"، لو قلتو حتى يحيا جمال عبد الناصر، فسنعتبرها دعاية للشيوعية وسنقاومها".

وبعد ثمانية شهور ذهبت إلى المنيا - وكان ذلك عام ١٩٦٧ - وكنت أحصل على إجازات بمرتب كامل.

أهم الدروس المستفادة التى خرجت بها من رحلتى الطويلة فى العمل مع الفلاحين:

١-من الصعوبة بمكان أن تخلق كادرًا فلاحيًا، فى ظل عدم وجود نقابات أو تنظيمات أو اتحادات جماهيرية فلاحية.

٢-من الضرورى أن تكون - إذا أردت أن تصبح ذا دور مؤثر فى العمل الفلاحي- لست فقط من أبناء القرية والفلاحين، بل وأن تكون أيضاً عميق الجذور فى فهم واقع القرية والموقع المحدد. فكل موقع ريفى له خصوصيته؛ فطبيعة المعارك الفلاحية فى الدقهلية (وبحرى عموما)، تختلف عن مثيلاتها فى ساحل سليم وأسيوط (والصعيد عموماً): سواء من حيث طبيعة علاقات الإنتاج وحجم الملكية الزراعية، أو من حيث الاستعداد النضالي للفلاحين، أو

من حيث العلاقات والروابط بين القوى الاجتماعية.

فمن الغريب- لمن لا يدرك تفاصيل هذه الأوضاع- أنه في الوقت الذي كانت فيه معارك الفلاحين في ساحل سليم تتسم بالعنف والسخونة، أن تجد بعض الملاك بل بعض كبارهم (كشقيق محمد محمود باشا) يقفون إلى جانب الفلاحين.

وأن عدداً كبيراً من "الأشقياء، وقطاع الطرق" -في وجه بحرى- كانوا يتعاونون معنا ومع الفلاحين، بعكس الوضع في الصعيد، حيث كانوا من أسوأ أسلحة الإقطاعيين ضد الفلاحين.

٣-هناك فارق كبير - يدركه الفلاحون بوعيهم التلقائي- بين أن تناضل من أجلهم وتضحي في سبيل ذلك بصدق، فتكتسب جماهيرية حقيقية وأصيلة، وبين الدفاع "الموسمي" عنهم في أوقات "الانتخابات".

وهذا ما اتضح من التفاف الفلاحين حولنا - بصدق وحميمية- بخلاف الأمر بالنسبة لبعض قيادات الأحزاب الأخرى، التي كانت تدافع- بدرجة ما أو في موسم ما - عن بعض حقوق الفلاحين ومطالبهم.

٤-الوعي ونشره بعمق بين الفلاحين، هو السلاح الرئيسي - السابق للتنظيم- في قيام حركة فلاحية نضالية حقيقية تستطيع أن تصمد وأن تتواصل.

٥-يجب أن تصل الأفكار "الثورية" (الماركسية واللينينية) إلى الفلاحين بالطريقة الصحيحة وطبقا لواقعهم وبشكل مبسط وواقعي، وبمنهج متعمق الفهم ليس لهذه الأفكار فحسب، بل أساسا للتاريخ المصري- في كافة مراحله- ولواقع المسألة الزراعية والفلاحية في مصر.

شهادة جمال غالى

فـى الحقـيقة، لا أزعـم أن كلمـتى هـذه شـهادة تاريخـية عـن النضـال الشيوعي فـى المجال الفلاحى. فلم يكن لى شرف العمل المباشر فى الحركة الفلاحية، فلقد كنت مسئولا سياسيا فى العمل الحزبى بشكل عام.

وكـان خطـنا السياسـى شديد الوضوح والثبات منذ عام ١٩٤٢ فى الحركة المصـرية ثـم الحـركة الديمقراطـية للـتحرر الوطـنى. وكـان محـوره الرئيسـى تكوين الجبهة الأساسية المعادية للاستعمار من العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة.

ومنذ دخولنا هـذه الدائـرة- وحـتى عـام ١٩٥٩- عرفـنا كيف نكوّن كتلة من جماهير الفلاحين المساندة للخط الوطنى الديمقراطى.

وكنا حريصين على عدم الصدام مع القوى السياسية الوطنية الأخرى.

فـبالرغم مـن أن الوفديـين كـانوا يـتحولون ويـتغيرون كـثيراً ،وحـاولوا التصـادم معنا عـام ١٩٥٠- بـل ورفعـت علينا القضايا وتم حبس البعض منا- إلا أنـنا كـنا غير داعين أو عـاملين عـلى دفع الفلاحين للصدام مع حكومة الوفد، بقدر حرصنا على تقوية دورهم الإيجابي فى دعم التوجه الوطنى، مع الضغط - فـى نفس الوقـت- حـتى تـتم زيـادة المسـاحة السياسية والاجتماعـية لهـم وحصـولهم عـلى حقوقهـم الطبيعـية. (وكـان هـذا أيضاً هـو خطـنا السياسـي فى المجـال الفلاحـى بالنسبة لثورة ٢٣ يوليو، فلم يـكن خطـنا هو صدام الفلاحين مـع الثـورة، بـل كـنا نـناقش ونـرفع الشـعارات ونـكافح مـع الفلاحين من خلال تشـكيل اللـجان الجماهيريـة التـى تطالـب بحقوقهـم فـى إطار المعارك الوطنية القائمة آنذاك).

ولقد تعرض خطنا هذا لامتحانات شديدة - على أرض الواقع الريفى والفلاحى - تباينت فيها درجات نجاحه.

*عند انتشار مرض "الملاريا" (عام ٤١ أو ١٩٤٢) قررنا النزول بكل ثقلنا وقوتنا فى وسط أشد المناطق إصابة بهذا الوباء، محاولين مساعدة الناس بالطرق الممكنة- من خلال نشاط الشعب نفسه- وحتى القلة القليلة من السيدات اللاتى كن موجودات فى الحركة الشيوعية فى ذلك الوقت، سافرن إلى هذه المناطق وحاولن مساعدة الناس تجاه هذه الكارثة.

*فى عام ١٩٤٦، ومع الدور الكبير الذى قام به الشيوعيون فى تشكيل لجنة الطلبة والعمال - التى قادت الحركة الشعبية آنذاك- كنا فى داخلنا نشعر أن هناك شيئاً هاما ينقص هذه اللجنة، وهو العنصر الفلاحى بها.

فعلى الرغم من أننا أعطينا توجيهات وقتها إلى كل زملائنا، بأن يذهبوا إلى قراهم للعمل على بروز التواجد الفلاحى الحقيقى فى هذه الانتفاضة.

ولقد قامت فعلا آنذاك مظاهرات عديدة فى الكثير من القرى وعواصم الأقاليم (كطنطا)، بل وتشكلت لجان ريفية مؤيدة للجنة الطلبة والعمال ولتوجهاتها وحركتها، إلا أن التواجد العضوى الفلاحى فى اللجنة، لم يكن متوافرًا بالصورة المتوازية مع الوزن الحقيقى للفلاحين ولا مع النشاط الفلاحى الذى كان بالفعل موجوداً فى ذلك الوقت.

ويرجع ذلك- كدرس مستفاد- لعدم وجود التنظيم الفلاحى الجماهيرى، بخلاف الوضع بالنسبة للطلاب، فكان لهم اتحادهم، وللعمال، فكان أيضاً لهم اتحادهم الذى وإن لم يكن شرعيا إلا أنه كان قائما فعلياً فى المناطق العمالية الكبرى والتجمعات النوعية (عمال النقل.. الترام.. شبرا الخيمة.. المحلة.. إلخ).

*بعد ثورة ١٩٥٢، كنا نشطين جداً في الريف. وكان توجهنا هو الحرص - أساساً - على تجميع الحركة الجماهيرية الفلاحية في لجان منظمة، محاولين تطوير هذا العمل حتى يصبح نشاطا فلاحيا متكاملاً خالصا، لا يمكن أشخاص من طبقات أخرى معادية للفلاحين ليقوموا بدور الزعامة للفلاحين. وتأكيداً لهذه القيمة التنظيمية لدى الفلاحين لم نرض أبداً أن نأخذ أدواراً وأوضاعا تنظيمية- رئاسية أمام الناس مثل دور "رئيس لجنة الفلاحين بقرى طنطا... إلخ"، رغم المحاولات الكثيرة التي كانت تريد لنا أن ننشغل بهذه الأمور والأدوار داخل التنظيمات الفلاحية.

وتمكنا - بهذه الروح - من تشكيل الكثير من التنظيمات الفلاحية في وجه بحرى والدقهلية.. ودمياط.. إلخ). وكنا نتمتع بنفوذ سياسي قوى معترف به من الجميع.

كذلك كان لنا نشاطنا، الفلاحي في الصعيد، وإن كان مختلفا كثيرا عن النشاط في الدلتا. فعندما كنت أحضر اجتماعات لجان الصعيد - كمسئول سياسي أو فكري- كنت ألاحظ ذلك الاختلاف الكبير في أنواع القضايا الفلاحية ومستوياتها، والقوى الاجتماعية والفئات الريفية المهتمة بها، وحركة التعامل معها... إلخ.

وبعد أن دخلنا السجن في ١٩٥٩، توقف النشاط الفلاحي - بالنسبة لي شخصياً - لكني أعتقد أن الزميل محمد عباس فهمي رحمه الله واصل هذا النشاط بالصعيد بعد خروجه من السجن عام ١٩٦٤.

والملامح المهمة لنشاطنا الفلاحي بشكل عام يمكن تحديدها فيما يلي:

*لابد من التنسيق والتحالف بين القوى الفلاحية متحدة- أو قريبة-

المصالح من فلاحين فقراء ومستأجرين وصغار ملاك وعمال زراعيين، بل - وأحيانا - مع متوسطى ملاك.

*أهمية أن يتوج النشاط الفلاحى بتشكيل لجان ومنظمات جماهيرية واسعة للفلاحين، وبالفلاحين أنفسهم.

*ضرورة دراسة قضايا الفلاحين والزراعة على مدى التاريخ المصري، والاستفادة بكل ما نشر فى هذا الشأن (فمثلا مناقشات مجلس النواب والشيوخ من ٤٣ حتى ١٩٥٢ شديدة الأهمية فى توضيح الواقع الفلاحى والمجتمعي آنذاك).

*لا يمكن أن ننسى دور "المثقف الشيوعى المصرى" تجاه قضايا الفلاحين، ذلك الدور الحافل بالجهد والنبل والتضحيات.

شهادة حامد الموجى

لن أضيف كثيراً لما قاله الزميل سيد يوسف، فلقد عشت معه نفس الظروف والمواقف التى تحدث عنها.

فقط، أتذكر حدثا فى أغسطس ١٩٥٢.

فقد حضر آنذاك الصحفى الفرنسى الشيوعى "روجيه فايان" إلى قريتنا، وكان معه بعض الصحفيين وعدد من القيادات المركزية للحركة الشيوعية مثل كمال عبد الحليم وفؤاد حبشى.

التقوا بنا وبزملائنا، وتناقشوا مع الفلاحين وجالوا فى أماكن كثيرة بالقرية، ثم ذهبنا جميعاً إلى قرية أخرى هى "دقهلة" - بلد زميلنا الفلاح الشيوعى أحمد سليم- وهناك تم القبض علينا تحت دعوى أننا ضد الثورة- فى الوقت الذى كانت تتم فيه محاكمة خميس والبقرى فى كفر الدوار- وهددونا بالحكم علينا بالإعدام. ولم يفرج عنا إلا بعد ١١ يومًا وبعد تدخل السفارة الفرنسية بالقاهرة.

ولحضور هذا الصحفى الفرنسي الشيوعي لمصر - وحرصه على اللقاء بنا- أسباب وخلفيات كان بعضها- آنذاك- قريبًا، وبعضها منذ سنوات.

ففور قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كان من الطبيعى أن تؤيدها "حدتو"، فلقد عملت على قيامها من ناحية، بل وشارك عدد من قيادات حدتو من ضباط الجيش الأحرار فى نجاحها (كخالد محيى الدين ويوسف صديق وثروت عكاشة). وكان هذا التأييد، موقفا منفرداً لحدتو ليس فقط بين باقى المنظمات الشيوعية المصرية، بل والأحزاب الشيوعية العربية والعالمية كلها، بما فيها الحزب الفرنسى، الذى كان يراها- كباقى الأحزاب الشيوعية- انقلابا

فاشيا أمريكيا.. إلخ، وبالتالي كان يهاجم "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني" حدتو" لتأييدها لهذا الانقلاب الرجعى الاستعماري.

ولم يكن هذا هو الخلاف- والصراع- الوحيد أو الأول، بيننا وبين الحزب الشيوعي الفرنسي.

فلقد سبق ذلك صراع فكرى وسياسى بينهم وبيننا حول رؤية الحزب الفرنسى لحركة التحرير فى الجزائر. حيث كان يرى أن الجزائر هى جزء من فرنسا وأن تحررها سيكون بقيام الاشتراكية فى فرنسا وحكم الطبقة العاملة.

بينما كان رأينا أن الجزائر دولة مستقلة، تقوم فرنسا باحتلالها، وعلينا مناصرة الشعب الجزائرى فى نضاله الوطنى من أجل الحرية والاستقلال الكامل، رافضين- بطبيعة الحال- فكرة توحد الجزائر فى فرنسا، معتبرين أن تلك الرؤية ليست اشتراكية بل على العكس تبرر- أيا كان حسن النية- الاستعمار.

ثم حدثت أيضاً خلافات فكرية حادة بين حدتو والحزب الشيوعى الفرنسى وخاصة بهجومه الشديد على توجه حدتو السياسى المتمثل فيما كان يسمى "خط القوات الوطنية الديمقراطية"، الذى كانوا يعتبرونه خطأً انتهازيا يميع الدور القيادي للبروليتاريا.

..كانت هذه الخلافات- رغم حدتها- ودية.

إلى أن قامت ثورة ٢٣ يوليو وأيدناها، فأصبح خلافا عدائيا، وخاصة أننا بادلناهم الهجوم بهجوم أشد، مؤكدين لهم أنهم- بموقفهم من الثورة- يجهلون أى شيء عن حقيقة الأوضاع فى بلادنا وكل دول الشرق الأوسط.

من هنا، كانت زيارة "روجيه فايان" لمصر والتقائه بالقيادات الشيوعية- المركزية والمحلية- من حدتو، بل ولقائه أيضاً بجماهير الفلاحين، من أجل

أن يصل- على أرض الواقع فى مصر- لحقيقة الأوضاع ولمبررات تأييدنا لثورة يوليو.

وكانت زيارة مهمة وإيجابية على الرغم مما حدث لنا بسببها. فقد اقتنع- على ضوء الواقع- برؤيتنا، وحاول إقناع الحزب الشيوعي الفرنسي بها حيث إن الوضع لدينا مختلف، وأصدر كتابا عن تلك الزيارة، حيا فيه الفلاحين المصريين وقيادات الحركة الشيوعية فى الريف.

شهادة شاهندة مقلد

كان لعام ١٩٤٨ بصمة كبيرة في حياتي. ففي هذه السنة شدد الإقطاع في قريتي كمشيش من هجومه واغتصابه لأراضي الفلاحين، أيضاً كان هذا هو العام الذي اغتصبت فيه فلسطين. ورأيت- مع حداثة سني- أن للحدثين طبيعة واحدة، فالإقطاع يغتصب أراضي الفلاحين، والصهاينة يستولون على أرض فلسطين.

عندما كنت أذهب إلى قريتي- آنذاك- كنت أرى الفلاحين وهم مربوطون بحبال وسلاسل، أو وهم يعملون بالسخرة في أراضي الإقطاعيين.

وكان زمام القرية ٢٠٠٠ فدان، كانت أسرة الفقي الإقطاعية تملك منها حوالي ١٢٠٠ فدان كان أغلبها مغتصباً من الفلاحين، حيث لم تكن هذه العائلة تملك في البداية أكثر من ٥٠ فدانا.

كان ارتباطي بقريتي وثيقا، وارتباطي بالفلاحين المظلومين كبيراً، فلقد نشأت أكره الظلم حيث كان والدي ضابط البوليس الوفدي مضطهداً طوال حكم وزارات الأقلية وكانوا ينقلونه دائما من بلد لآخر.

ورغم وضعه البوليسي فلقد كان محبوبا من الفلاحين بل كان هو الملجأ لهم للشكوى من الظلم والاضطهاد.

وإذا كانت بداية الحركة النضالية داخل كمشيش سابقة على مشاركتي فيها، فإنني قد عرفت كل تفاصيلها من صلاح حسين (ابن عمتي ثم زوجي بعد ذلك)، والذي كان وثيق الصلة بأحد الصحفيين المناضلين وهو المرحوم "وسيم خالد"- وخاصة من خلال دورهما الوطني المشترك في منطقة القنال، بعد أن تيقن "صلاح"- وهو متطوع للجهاد في فلسطين عام ١٩٤٨. أن

المعركة الأساسية هى داخل مصر- وفكرا سوياً فى تشكيل تنظيم لمقاومة الإقطاعيين والملك وأن يتولى صلاح مسئولية النضال الفلاحى بدءًا من - ومن خلال - حركة ثورية بكمشيش.

كان صلاح طالبا فى مدرسة "المساعى المشكورة" فى شبين، فقد استطاعت بعض الأسر من الطبقة الوسطى أن تعلم أولادها ولم يتجاوز عددهم ٥ أو ٦ من الشباب الذى التحق بمدارس شبين.

ومن هؤلاء الطلبة بدأ تشكيل أول مجموعة بالقرية لمقاومة الإقطاع. وكانت حركتها تتم وفق محكات واختبارات نضالية وضعها صلاح لهم. تبدأ برفض تنفيذ الطقوس التى كان الإقطاعيون يفرضونها - لمجرد الإهانة والإذلال لأهل القرية- كضرورة لبس "الطاقية"، والوقوف عند مرور أحد من عائلة الفقى، وإغلاق الراديو عند رؤية أحدهم.

كانت البداية النضالية - ومحل اختبار المقاومة والشجاعة- هى عدم الالتزام بأحذ هذه الطقوس، ثم الطقس الثاني.. وهكذا.

ولم يكن هذا بالأمر السهل أو البسيط، بل كان وضعا شديد الوقع على الإقطاعيين، شديد رد الفعل منهم تجاه هؤلاء الشباب.

ومن الطلبة الذين صمدوا فى هذا الاختبار العملى للصمود والمقاومة تشكلت أول مجموعة موثوق فيها من كل من: حسنى سلامة- على أمان- عبد الستار تلة- عبد الله عمارة- محمد رجب، بالإضافة إلى صلاح حسين.

وإذا كانت هذه هى البداية، فالمستهدف كان أكثر خطورة، وهو إقامة تنظيم مسلح فى ظل الحكم الملكى وجبروت الإقطاع وطغيان البوليس السياسى.

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو، قرروا تجنيب التشكيل المسلح، والعمل

السياسى من أجل تنفيذ المبادىء المعلنة للثورة كالقضاء على الإقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم، وتحويلها إلى واقع فعلى.

ومن خلال أحد المآتم، وقف صلاح معلنا أنه لا سخرة بعد اليوم مطالبا الفلاحين بمقاومة ظلم الإقطاعيين والتصرف كأحرار على أرضهم.

وتم القبض على الطلبة، ثم على صلاح، كما تم حصار القرية. وكانت هذه هى نقطة البداية من تحويل التشكيل من تنظيم للطلبة، إلى تنظيم للطلبة وللفلاحين، وحدثت معركة معلنة بين الفلاحين والإقطاع، وتدخلت النيابة العمومية، وبدأت مرحلة جديدة من النضال فى كمشيش.

وحرص صلاح - فى هذه المرحلة- أن يضع على رأس القيادة الجماهيرية المعلنة عناصر بارزة ذات ثقل أدبى واجتماعى بالقرية.

ولعل معركة الترعة التى كان الفقى يشقها فى أرض الفلاحين، تحمل الكثير من الدلالات السياسية والنضالية. فقد خرج تنظيم القرية - بتشكيله الجديد- دون أن يحمل أي سلاح- وفقا لما تم الاتفاق عليه بينهم وعلى ضوء مبادىء الثورة- لردم الترعة، فواجههم الإقطاع بالسلاح وأطلق النار على ١٧ فلاحًا.

ولم يقف المسئولون عن الثورة مع الفلاحين بل على العكس ناصروا الإقطاع. مما جعل الفلاحين يدركون أن مواجهة عنف الإقطاع وسلاحه لن يمكن أن يتم بمجرد التمسك بمبادئ الثورة، ولكن بعنف دفاعى من الفلاحين لحماية حقوقهم.

وخاضت القرية العديد من المعارك، قد لا تؤدى كل منها إلا إلى انتصار جزئى ومحدود، ولكن تواصل المعارك أدى إلى ثقة الفلاحين فى أنفسهم وفى جدوى نضالهم، وتلك هى عبقرية القيادة.

ومنذ منتصف الخمسينيات تعرّف صلاح على الفكر الماركسى وقرأه قراءة نقدية واستخدمه كمنهج للعمل النضالى.

أما دخول الحركة الشيوعية - تنظيميا وعضويا- فقد تم من خلال التقاء شوقى جلال ببعض الطلبة فى المعهد الذى كان مدرساً به فى شبين، ثم تواصلت حركة الحزب الشيوعى فى كمشيش بعد ذلك من خلال الدور الذى قام به عريان نصيف فى هذا الشأن (ويسأل شوقى وعريان عن تفاصيل هذه المرحلة).

وتواصلت المعارك بالقرية، وشاركت بفاعلية فى أحداثها، خاصة بعد خوضي انتخابات الاتحاد القومي وحصولي على أعلى الأصوات.

وتركزت معاركنا فى ثلاث قضايا رئيسية:

*الأرض التى هربها الإقطاعيون من الإصلاح الزراعي.

*السيطرة على الجمعية التعاونية الزراعية.

*إقامة نقابة للعمال الزراعيين.

كنا نحن - بإيماننا بعدالة قضايانا ومطالبنا وبدعم جماهير الفلاحين لحركتنا- فى مواجهة الإقطاع بكل إمكاناته التى لم تنته، مدعوما ببعض الدوائر الكبرى المسئولة وخاصة أنور السادات.

وتحملنا - وتحمل الفلاحون- الكثير والقاسي من التضحيات حتى بالروح حيث استشهد كل من أبو زيد أبو رواش وعبد الحميد عنتر.

ولكن هذا الثمن الغالى لم يذهب سدى، فقد حققنا الكثير مما ناضلنا من أجله:

*تم توزيع أرض الإقطاعيين- بالأسلوب الشعبي الذي فرضناه- على ١٩٩ فلاحًا.

*حصلنا على إدارة الجمعية التعاونية الزراعية.

*أنشأنا نقابة لعمال الزراعة.

ولم يتوقف النضال، بل تواصل، وبأبعاد أعمق وأكبر، من أجل حماية الثورة ومكتسبات الشعب، في مواجهة الثورة المضادة التي كانت تتهيأ للانقضاض على مقدرات مصر كلها، سواء من خلال عدوان استعماري يعد له، وانقضاض داخلي على مصالح الشعب تنسج خيوطه السوداء.

وكتب صلاح حسين ذلك- بوضوح- في رسالة وصلت- بالفعل- لجمال عبد الناصر.

وأصبحت كلمة "كمشيش" تعني الكثير للمناضلين وللفلاحين والعمال والمثقفين الوطنيين.

وتعني أيضاً الكثير والكثير لكل قوى الرجعية وأعداء الشعب.

وبرصاصة غادرة من يد قذرة استشهد صلاح حسين على أرض كمشيش التي أحبها- وأحبته- يوم ٣٠ أبريل عام ١٩٦٦.

شهادة شريف حتاتة

عندما عدت من المنفى فى سبتمبر ١٩٥٢، سقطت فى بوتقة الصراع الذى بدأ يحتد بين القائمين على حركة الضباط الأحرار وبين تلك المجموعة الصغيرة نسبيا التى كانت تشكلها التنظيمات اليسارية ومنها "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" التى ظللت عضوا فيها منذ ١٩٤٦ إلى أن حلت نفسها سنة ١٩٦٤.

منذ البداية جنحت السلطة الجديدة إلى التخلص السريع من "حدتو". استفاد الضباط الأحرار من فكرها، ومن خبرتها التنظيمية، ومن جهودها قبل أن يصلوا إلى الحكم، ثم لفظوها وكأنها سبة أو إثم. أغلقوا أمامها فرص النشاط التى كانت أمامها بحكم علاقاتها بهم، وبعد ذلك جاءت المحاكمات والاعتقال والسجن.

سقطت أنا من حيث لا أدرى فى جو اختلط فيه الأمل بالقلق والغيوم. لم أحضر الأسابيع الأولى للوئام بين حدتو وحركة الجيش. عشت محاكمة خميس والبقرى وإعدامهما فى كفر الدوار، وانعطاف حدتو التدريجى نحو التعارض مع ثورة يوليو واتهامها بالوقوع فى براثن الاستعمار. نشأ هذا التعارض لأسباب أدركناها فيما بعد.

نفوذ اليمين الرجعى كان هو الغالب فى البلاد، ورغم الميل الطبيعى من الناس للحرية والمساواة، كان العداء للشيوعية ولليسار سمة من سمات الحياة السياسية فى مصر منذ أيام سعد زغلول. تأصل فى جهاز الدولة، ودعمته القوى الدينية التى كانت تتهم اليسار بالمروق عن الإسلام.

كان لهذا العداء تأثير قوى داخل الجيش وفى صفوف حركة الضباط

الأحرار، خصوصا في وقت كانت تسعى فيه حثيثا لتأكيد سلطتها وسط التيارات المتصارعة. وضد قوى اليمين المسيطرة على الأحزاب والهيئات السياسية الأخرى في البلاد، والمسيطرة على الدولة والبرلمان والصحافة وأجهزة الثقافة والتعليم، على الأزهر والمنظمات الدينية والإخوان، وإلى شق طريقها في نظام تسنده قوى الاستعمار القديم وتقف عند أبوابه قوى الاستعمار الجديد.

في بداية الثورة، لم تتخذ أمريكا موقفا واضحاً مما جرى يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، آثرت الانتظار، وفي الوقت نفسه سعت قيادة الثورة إلى تحييدها. فقد كان من شأن أي جنوح نحو اليسار أن يعجل بقلب الميزان ويدفع الولايات المتحدة إلى أن تتخذ موقفا عدائيا ضد الضباط الأحرار الذين أرادوا أن يركزوا جهودهم للسيطرة على الوضع، حتى تتاح لهم الفرصة لالتقاط أنفاسهم واستشراف الطريق الذي سيسيرون عليه في مستقبل الأيام.

يضاف إلى ذلك، موقف اليسار فيما عدا "حدتو" كان العداء لحركة الجيش واضحا منذ البداية، تجسد في وصف الضباط الأحرار الذين قاموا بالاستيلاء على الحكم - أو على الأقل قياداتهم - بأنها عملية للاستعمار الأمريكي، بأنها فاشية معادية للحريات وللشعب.

وكان هذا الموقف بمثابة سكب الزيت على النار، وفرصة ذهبية لمن يريد إذكاء شعلة العراك بين الضباط الأحرار واليسار، واعتبار "الشيوعيين" جميعاً أعداء للثورة يجب القضاء عليهم في أقرب وقت.

كل هذا في فترة حرجة، متلاطمة الأمواج، لا يعلم فيها أحد إلى أين يمكن أن تتجه الأحداث.

وبالفعل بعد هذه الفترة بما لا يزيد عن السنة قليلا، في مارس ١٩٥٤

قامـت الهـبّة المضـادة لـثورة يولـيو تحـت شـعارات الدفـاع عـن الحـريات والديمقراطـية وعـودة الأحـزاب وانسـحاب الجـيش إلى ثكـناته. وهـى هـبة شاركت فيها جبهة شملت جزءًا من حركة الضباط الأحرار، وحزب الوفد، والإخوان المسلمين، واليسار بكل تياراته، وبرزت فيها "حدتو" كقوة محركة. فـى الأيـام الأولى تمسـكت "حدتـو" بقـدر مـن الـتمايز والاسـتقلال عـن التنظيمات اليسارية الأخرى وعن اليسار فى العالم. ففى هذا الوقت اتخذ الاتحاد السوفيتى -ومن ورائه البلدان الاشتراكية الأخرى - موقفا معارضا- أو على الأقل متحفظاً - إزاء نظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وكان التضامن الأممى إذ ذاك يفرض اعتبار ما حدث انقلابا رجعيا لصالح الاستعمار الأمريكى، وليس حركة وطنية فى الجيش وامتدادًا للحركة الوطنية العامة فى البلاد. فأصبحت "حدتو" مدانة بالانتهازية، خائنة، باعت نفسها للاستعمار مع حركة الجيش.. إلى آخر هذا القاموس الذى ساد لفترة طويلة فى الحركة اليسارية. أصبحت حركة يجب أن تقاطع أو على الأقل أن تعامل بحرص شديد خوفا من العملاء والجواسيس الذين انبثوا فيها، ربما من زمن بعيد!

شارك فى هذا الموقف جزء كبير من اليسار المصرى، وكل اليسار العربى والعالمى ما عدا اليسار الإيطالى الذي بادر بتغيير رأيه بعد مدة قصيرة.

هكذا، عندما كنت هاربا فى باريس قبل العودة، التقيت بمسئولين فى "مكتب المستعمرات" للحزب الشيوعى الفرنسى، فكان موقفهم رفض التعامل مع حدتو، بينما كانوا يتعاملون بثقة مع الحزب الشيوعى المصرى.

كما قلت، جنحت سلطة الضباط الأحرار منذ وقت مبكر إلى القضاء على "حدتو" رغم أنها كانت من القوى التى يمكن اعتبارها ضمن الحلفاء. كان هذا الموقف نابعا من عدائهم الأصيل لليسار. فغداة استيلائهم على الحكم،

صدر عفو عام عن المسجونين السياسيين - بما فيهم الإخوان المسلمين - ولكن استثنى منه المسجونون الشيوعيون. لذلك لم أعف أنا أيضاً من الحكم الذى صدر عليّ قبل الثورة من محكمة أمن الدولة العليا بخمس سنين أشغال شاقة، بعد أن أعلنت موقفى ضد الاستعمار البريطانى والسراي والإقطاع، أثناء التحقيق الذي أجرى معي وأمام المحكمة. وعندما سئل زكريا محيى الدين عن سبب استثناء الشيوعيين من العفو، كان رده "لأن الشيوعية جريمة اجتماعية وليست سياسية".

أى أننى وزملائى مثل القتلة واللصوص والمتاجرين بالمخدرات.

هكذا بعد أن كانت حدتو هى التيار السياسى الوحيد الذى أيد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، انقلبت ضدها. وأخذت تعارضها بكل الوسائل التى تملكها، لكن ظلت هذه الوسائل - كما كانت دائما - سليمة، تعبر عن الرأى وتحشد الناس وراءها، وإن شابتها ألفاظ مثل "عملاء وخونة" وكلمات أخرى من هذا الصنف.

فى هذا الوقت كانت حركة الضباط الأحرار ظاهرة جديدة فى المعترك السياسى، لم نألفها ضباط يثورون ضد الاستعمار والقصر، بينما هم من صميم الجهاز المستخدم للقهر؟.. كيف؟.. لا يمكن.. هكذا كان المنطق الذى حكم آراءنا، فالنظرية إذا لم تنبع من الواقع والتاريخ، تصبح معول ضلال وهدم. نسينا تاريخ الجيش فى مصر، نسينا محمد على وعرابى وما جرى من قبل، نسينا حتى تجربتنا المباشرة فى "قسم الجيش" التابع لحركتنا.

كان التأييد والمشاركة التى بذلتها "حدتو" لحركة الجيش وليدة شواهد الحياة ومعاركها، لكن لما تعرج مسار الثورة فى منعطفات ضد الشعب، لم نفهم لماذا حدث هذا. لم نفهم طبيعة القائمين عليها. أنهم ضباط من الطبقة

الوسطى تتناقض دوافعهم. ولما انهالت علينا الضربات انكمشنا وانعزلنا وفقدنا الثقة فى أنفسنا، فعدنا إلى أفكارنا القديمة، إلى النظريات المسبقة.. إلى كتب لينين وماركس. ساد الانفعال المباشر مكان النظرة البعيدة للمسار الذى اختارته الحياة لمصر.

فى الوقت نفسه، عندما أعلنت تأييدها لحركة الجيش، لم تدرك حدتو حدود التغيير الذي حدث فى بلادنا، ولا طبيعة الصراعات كما هى بالفعل. لم تفهم المعارك الدائرة حول السلطة، وكيف أنها تفسر مواقف وتصرفات القوى السياسية المختلفة بما فيها حركة الجيش، وما يمكن أن يتمخض عنها. لم ننتبه إلى التدخل القائم بين وطنية الضباط والمصالح التى تدفعهم بوصفهم فئة اجتماعية وسطى تربت فى الجيش، وأثر كل ذلك على مواقفهم وعلى المسار الذى يخططون له ويدبرون أموره. ولم ننتبه إلى طبيعة الوضع السياسى المحلي والدولى المحيط بالحكم الذى قام فى مصر فى ذلك الوقت.

* * *

حرصت على كتابة هذه المقدمة قبل أن أدخل فيما طلب منى كتابته، لأنه يصعب فهم تجربتى فى وجه بحرى كمسئول سياسى عن التنظيم الذى أقامته "حدتو" بين سكان الريف، دون التعرض للظروف السياسية والأفكار التى أحاطتنا.

فلما عدت من المنفى كانت حدتو سائرة بالتدريج نحو موقف المعارضة لحركة الجيش. وكان من الطبيعى أن يتشكل العمل الذى قمت به فى وجه بحرى عندما نقلت إليه وفقاً لهذا المخطط الملزم لأعضاء الحزب، خصوصا وأننى لم أكن عاصرت الفترة من سنة ١٩٤٨ حتى عشية ثورة يوليو، وهى فترة قضيتها فى المنفى أو السجن، فكان من الصعب أن يكون لى رأى مستقل.

مر بعض الوقت، ربما شهرين أو ثلاثة قبل أن تقرر القيادة إرسالي إلى وجه بحرى لأعمل مسئولا سياسياً عن النشاط فى أقاليم الدلتا. لم يكن لحدتو فى هذا الوقت نشاط فى جميع المحافظات. كانت لها جزر فى الدقهلية والغربية والمنوفية والشرقية والقليوبية والبحيرة، هذا هو ما أذكره.

العناصر التى كنت أتصل بهم كانوا من المدرسين أو الحرفيين فى المراكز، لكن فى القرى كنت ألتقى أيضاً مع عمال زراعيين وفلاحين فقراء أو متوسطى الحال. لكن لجنة منطقة بحرى- التى كانت تقود النشاط- لم يكن فيها عناصر من الريف. كان عدد أعضائها أربعة.. أنا وجمال غالى وبدير النحاس وسيف صادق. أنا طبيب، وجمال غالى خريج كلية العلوم من القاهرة، وبدير النحاس موظف من الدقهلية، وسيف صادق نوبى. وكنا جميعا متفرغين لنشاطنا السياسى السرى.

لما تحقق لنا شيء من الاستقرار فى وجه بحري، أعدنا إصدار مجلة "صوت الفلاحين" كنا نطبعها فى البداية بطريقة بدائية على "الرولو"، ثم بعد ذلك طبعناها على "رونيو"، فأصبحت تخرج فى شكل أكثر اتساقا وجودة من ناحية الطباعة، ووصل العدد الذى كنا نطبعه- قبل أن أترك وجه بحرى لأعود إلى القاهرة فى بداية النصف الثانى من سنة ١٩٥٣ بعد القبض على أحمد الرفاعى وزكى مراد وعدد آخر من العناصر القيادية- وصل إلى ألف نسخة، بينما فى البداية لم نكن نطبع أكثر من ٥٠٠ نسخة. وكانت المجلة مصدر إزعاج للسلطات لأنها كانت معارضة لحكم الضباط الأحرار على طول الخط، مركزة على النتائج السلبية لقانون الإصلاح الزراعي الأول، وعلى مهاجمة سياسة المفاوضات التى انخرطت فيها الحكومة بخطى حثيثة ابتداءً من سنة ١٩٥٣ دون أن تعلن ذلك رسمياً.

لذلك عندما قبض عليّ في نوفمبر سنة ١٩٥٣ وأودعت في السجن الحربي، استخدمت المخابرات مختلف وسائل الضغط عليّ في محاولة لمعرفة مكان ما كنا نسميه "بالجهاز الفني" (أجهزة الطباعة)، ولجأت في ذلك إلى وضعي في السجن الانفرادي المطلق لمدة أربعة أشهر ونصف، وإلى التخويف من احتمالات المحاكمة أمام محكمة الثورة، وإلى اعترافات بعض زملائي عليّ لإقناعي بأنها تعلم كل شيء عني بما فيها أدق التفاصيل الشخصية، وإلى عقد لقاء مع أحد المعترفين حاول فيه أن يوهمني بأن المرأة التي كنت أحبها إذ ذاك هي التي اعترفت عليّ ثم سافرت بعد ذلك إلى الخارج، وبعد ذلك كله إلى ضربي في الزنزانة التي كنت محتجزاً فيها.

* * *

عندما صدر قانون الإصلاح الزراعي في ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢، قادنا موقف المعارضة الذي تبنيناه فيما بعد، إلى عدم إدراك الجوانب الإيجابية التي يشملها، لم نر فيه أنه ضربة للإقطاع، لملاك الأرض الكبار بنفوذهم الاقتصادي السياسي، بفتح الباب لتطورات أخرى، ويساعد على توسيع السوق عن طريق رفع مستوى معيشة بعض قطاعات الفلاحين. أنه يكسر الأطر الجامدة التي تحول دون قدر من الحرية لحركة رأس المال واستثماراته، فهو يحرر رؤوس الأموال المحبوسة في الأرض، في الريع والإيجار، لتتجه إلى الصناعة، أو إلى وسائل أكثر حدة وفاعلية في زراعة الأرض. إنه يقر مبدأ توزيع الأرض على صغار وفقراء الفلاحين لأول مرة في تاريخ مصر، ويسمح لهم بإقامة تعاونيات لخدمة إنتاجهم، ويبيح للعمال الزراعيين تنظيم صفوفهم. وأن المشكلة لم تكن في القانون قدر ما كانت في ضعف أو غياب التنظيمات التي يمكن أن تنفذه وتعمقه، وتدفعه نحو مزيد من الخطوات لصالح فلاحي

الأرض.

فى هذا القانون تحددت الملكية الزراعية للفرد بمائتى فدان كحد أقصى، وخمسين فدانا لكل ابن أو بنت من القصر، فأصيب الملاك بصدمة عنيفة. أيأخذون منهم الأرض.. هؤلاء الضباط الصعاليك الذين لا أصل ولا عائلة ينتمون إليها؟ إنهم مجانين. سنسحقهم. سنقتلهم، ولكن كيف؟ معهم سلاح ودبابات ولا نستطيع أن نواجههم بالقوة، فالقوة هذه المرة يمكن أن ندفع نحن ثمنها. ومع ذلك لن نترك لهم ملكيتنا ليستولوا عليها ويوزعوها على حثالة القوم، على فلاحين جهلة، على عبيدنا فى الأرض. الملكية سنة الله ورسوله. وحكمته فى الملك شرع لا يمس فقد أعطانا الله الأرض ولا أحد يستطيع أن يأخذها لن نستطيع أن نواجههم بالقوة لكن الدهاء صنعتنا. مارسناه كثيراً من قبل. سنحافظ على ما أعطاه لنا الرب. سنهربها منهم، سنبيعها بيعا صوريا لأقاربنا وأعواننا الذين نضمنهم، ونأخذ منهم كمبيالات نهددهم بها إذا لزم الأمر. لكنهم لن يجرؤا، فقبضتنا على الريف ما زالت قوية. البوليس والعمد والمشايخ تبعنا، وقبل أن نبيعها بيعا صوريا سنخليها من أجرائها،سننذر من يزرعها من الفلاحين بإخلائها حتى نستطيع التصرف فيها بطريقة تريحنا.

بين يوم وليلة، أصبح قانون الإصلاح الزراعي هو الشغل الشاغل لسكان الريف وشملت الآلاف منهم موجات الصراع ووصلت إلى مئات القرى.

فقد أرسل الملاك الآلاف من الإنذارات إلى الفلاحين يطالبونهم فيها بإخلاء الأرض، فانبرى الذين أنذروا يدافعون عن المصدر الذى يعيشون منه.

وانبرى الفلاحون من حولهم يساندونهم فى معركة كانت تمثل بالنسبة إليهم مسألة حياة أو موت. لجأوا إلى الشكاوى والاحتجاجات، إلى التجمهر والتظاهر، والصياح بأعلى صوت، إلى معارك استخدموا فيها النبابيت، وفى

بعض الأحيان - عندما كانت تصل إلى أوجها- لجأوا إلى السلاح. رفضوا إخلاء الأرض. لكن جهاز الدولة لم يكن معهم. كان مع الإقطاع ومع الرأسمالية الكبيرة المالكة للأرض. تربى على أيديها، على أن يأكل من دم الشعب، من عرقه اليومى فى الحقل.

أما الضباط الأحرار فكانوا لا يزالون قشرة فوق السطح. مجموعة معلقة فوق قمة السلطة تمتطى جهازا ليس معها، أو على الأقل يريد أن يرى أين ستتجه تطورات الغد. ركبوا الحصان الجامح لكن لم يستأنسوه بعد.

هكذا بدأت المعركة التى سميت "معركة الإنذارات"، وكنا نحن هناك لنوجهها، وننفخ فى نيرانها. أصبحت "صوت الفلاحين" المعبرة عنها. أصبحت هذه المعركة محور اهتمامنا فى لجنة بحرى- بل إلى حد ما فى الحزب- لأنها كانت معركة هامة وملموسة ويمكن تتبعها والانغماس فى أتونها. الملاك يريدون طرد الفلاحين من الأرض، وشعارنا نحن هو "الأرض لمن يفلحها" فهذا هو العدل.

أصبحنا- زملائى وأنا- نسمع أسماء لم نسمعها من قبل.. بهوت ونبروه وكفور نجم وكفر سعد والحداد ومركز زفتى وميت غمر. كانت قبل ذلك نقاط على الخريطة، لا ترى على الخريطة قط، أو ترى بالكاد إذا استخدمنا خيالنا، ثم أصبحت ترى رأى العين بتفاصيلها عندما نزورها، وندوس فى أوحالها، مع الجاموس والحمير والأطفال والبط.

أثبتت معركة الإنذارات أن القانون الذى لا تحميه قوة ديمقراطية يمكن أن ينقلب فى بعض نواحيه إلى سيف مسلط على الشعب، على عكس ما كان يراد به.

فقانون الإصلاح الزراعي أفاد فى بعض نواحيه وأعطى للفلاحين

مساحات من الأرض، لكن فى المقابل فقد الكثيرون ما كانوا يزرعونه حتى هذا الوقت.

وجدت نفسى غارقاً فى عالم أكاد لا أعرف عنه شيئاً. أحك قشرته لأكتشف ما يوجد أسفله. أركب اللوريات والقطارات والتاكسيات بالنفر، وأجوب مساحات من الأرض تمتد أمام عيني. أستنشق رائحة الحلبة والحطب والعرق فى الجلاليب. أجلس فى الحقل أو الجرن أو الحوش وحولى رجال حفر التعب فى وجوههم. رجال شواربهم كثة وعيونهم صغيرة التهب من حولها الجفن، أرتاد عالمهم من الأطراف دون أن أنفذ إلى العمق. يبهرني أحيانا وفى أوقات يقلقنى، فلست منهم. أجهل الكثير عنهم. ألمحهم ينظرون إلىّ فى ود وأحيانا فى تساؤل يقترب من الشك. هذا الشاب الأبيض ذو العوينات يرتدى جلبابا وصديريًا من الصوف إذا ما اشتد البرد، لم يمسك بالفأس، ولم يرو الأرض.. فكيف يفهم شئوننا؟ لكنهم لا يظهرون إلا الود. فالفقراء لا معين لهم. نسيهم حتى الرب، ولا أحد يسأل عنهم.

على الأقل جئت أنا إليهم أحمل أملاً فى الغد. تركت دارى وأهلى وسعيت إليهم فى أبعد قرية وكفر. أصل إليهم فى القطار أو فى سيارة إن وجدت، وإن لم توجد فعلى ظهر الحمير، أو سائراً فوق قدمى فى التراب والوحل.

تجربة مجيدة وغريبة. تجربة بائسة ومثيرة، علمتنى - فيما بعد - أن أسعى إلى معرفة الناس الذين لم أكن أعرفهم. أن أقدرهم. أن أستريح إذا جلست إليهم. أن أدرك ما قدموه لى - ولنا - منذ زمن بعيد.

تجربة دخلت فى وجدانى، فى كلمات صرت أكتبها. تجربة تعلمت منها. أسجلها لليسار الذى أنا جزء منه، والذى سينهض من جديد، ويتجاوز أخطاءه.

شهادة عبد الخالق الشهاوى

كنت- أنا ومجموعة من الشباب معى- من الجيل الثانى للمتعلمين فى القرية، ولقد كان كل المتعلمين آنذاك خمسة أو ستة فى القرية كلها- وهى البرامون مركز المنصورة.وكانت أغلب أفكارنا، مما تعلمناه فى الدين، كالعدالة الاجتماعية، و"إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها" و"سبعة يظلهم الله تحت ظله: إمام عادل وشاب نشأ فى طاعة الله".

كانت هذه القيم المستمدة من تعاليم الدين- مثل الحرية والعدالة والمساواة- هى أساس حركتنا فى البداية، وخاصة أننى كنت فى معهد دمياط الدينى مع حامد الموجى.

ولقد بدأت العمل السياسى الحقيقى من خلال أمرين بلوراً رؤيتى فيما بعد:

الأول: مظاهرات الإخوان المسلمين فى دمياط عام ١٩٤٢ أو "تقدم يا رومل" كشعار يرفعونه ويهللون به. مما جعلني أفكر - رغم حداثة السن- أن روميل يمثل استعمارًا لا يقل سوءًا عن الإنجليز فكيف نهتف لتقدمه إلى بلادنا؟، مما كان سببا فى تحديد موقفى - مبكرا- من الإخوان.

الثاني: المظاهرات والهتاف للملك عام ١٩٤٣ بمعهد طنطا الدينى بعد حادث "القصاصين"، التى استفزتنا، فقمنا بعمل "شوشرة وهيصة" على قدر إمكاناتنا، فإذا بهم يقبضون على سبعة أو ثمانية طلبة من المعهد ومن مدرسة طنطا الثانوية، ويحكم علينا بواسطة الحاكم العسكرى (النحاس باشا) بالمراقبة فى بيوتنا لمدة عام. وقاموا بترحيلنا- ونحن مقيدون بالحديد- إلى المنصورة، وأتى أهلنا لاستلامنا. وتسبب ذلك الأمر فى ضجة كبيرة انقسمت

البلد على أثرها إلى نصفين:

-النصف الأول يقول "هؤلاء شبان جيدون وهم لا يريدون الملك".

-والنصف الآخر يقول "بل هم شبان فاسدون ومنحرفون لا يصلحون للتعليم"

وكان مجيء الناس إلينا كل ليلة فى فترة المراقبة، إمكانية هامة جعلتنا محل اهتمام القرية وزادت من معرفتنا بالناس وبمشاكلهم.

وبدأت حركتنا العملية لخدمة القرية وأبنائها.

*بناء مدرسة: قمنا نحن مجموعة الشباب بنشر الفكرة وضرورة إنشاء المدرسة وجمع التبرعات لذلك. وعندما اقترح العمدة (وهو عمى) أن يتم التبرع بمبلغ جنيه على كل جاموسة، عارضته أمام الناس فى المسجد وطالبت بأخذ جنيهين عن كل فدان.

وفى هذا السياق كانت مشكلة بخصوص "الخواجة يسبسن"- وهو يونانى الجنسية وكان يملك أكثر من عزبة فى أكثر من مكان بالبلد ومساحتها أكثر من ألف فدان. فمن الذي سيطالبه بدفع تبرع قدره ألفان من الجنيهات؟ كنا قد قمنا بتشكيل جمعية أسميناها جمعية "الإصلاح الريفي" من مجموعة من المستنيرين بالبلد من مدرسي الإلزامي والكبار الذين يقرأون الصحف. فذهب وفد من هذه الجمعية إلى "يسبسن" لمطالبته بالتبرع للمدرسة، فأمهلهم إلى أن يتصل بناظر الدائرة، ثم فوجئوا فى صباح اليوم التالي بتشتيتهم جميعا- كموظفين- ونقلهم من القرية إلى مواقع أخرى بالدقهلية.

فكان رد أهل القرية على ذلك، من خلال مقاول الأنفار- وكان من أسرة طيبة وليس سيئا تجاه الفلاحين- حيث قام بمنع العمال من العمل

بأراضي يسبسن وبعثهم إلى تفتيش آخر.

وبينما كان يسبسن ينظر إلى أرضه وهل بها عمال من عدمه، انطلقت رصاصة أردته قتيلاً. وعلى الرغم من البوليس والهجانة وحصار القرية والإرهاب والتعذيب، لم يتحدث أحد من أهل القرية، وقيدت القضية ضد مجهول.

*إنشاء نادى: قمنا بإنشاء نادى "الشباب المثقف" بالقرية، وكنت أنا رئيس هذا النادي وكان وكيله محمد شريف (شقيق د.محمود شريف الوزير السابق)، وكان شغل هذه المناصب يتم بالانتخاب.

مارس الشباب من القرية العديد من الأنشطة فى هذا النادى ومن بينها إلقاء القصائد الشعرية- المحملة بكل القيم الدينية- فى ذكرى المولد النبوي.

الطريف - فى شأن هذا النادى- أننا وضعنا فى لائحته مادة تنص على عدم دخول أبناء العمدة (أولاد عمى) إلى هذا النادى، مما كان سببا فى عدم الموافقة على إشهاره.

*إنشاء مستشفى، وحماية القرية من وباء الكوليرا:

أنشأنا أيضاً مستشفى بالبلد، وصادف إنشاؤها ظهور وباء "الكوليرا" فى مصر. فقامت مجموعتنا بعمل كل ما يمكن في هذا الشأن.. نوعية الناس، رش أكوام السماد البلدى بالجير وبركة المياه بالكيروسين، مراقبة مداخل ومخارج القرية ومنع دخول أى مأكولات من خارجها وخاصة البلح.. إلخ.

وبسبب هذه الحركة، أصبحت القرية هى الوحيدة فى مصر التى لم يصب فيها أحد بهذا الوباء.

وكان نجاحنا فى هذه الأعمال الخدمية الرئيسية للقرية- وخاصة

مواجهة الكوليرا- سببا لانتشار شهرتنا والثقة بنا من الفلاحين وكل أهل القرية.

لدرجة أنه بعد انشغالنا بالسياسة وانضمامنا للحزب الشيوعى، حضر البوليس ليقبض علىّ فى إحدى القضايا الشيوعية، وقفت القرية كلها لحمايتى وتمكينى من الهرب من وسط الضباط والمخبرين، مما أدى إلى إقالة العمدة الذى لم يعق هروبى.

المهم فى هذا الموضوع أننا بتحولنا إلى الفكر الماركسى لم يستنكر الناس - لثقتهم فينا- هذا الفكر.

وبعد موضوع الكوليرا، فى عامى ١٩٥١/٥٠ زاد الظلم كثيراً على الفلاحين، لدرجة أن سعد الدين السنباطي- ضابط البوليس السياسي- كان يجرّ الناس وهم مربوطين فى ذيول الخيول، معتمداً - فى هذا الجبروت- على إبراهيم عبد الهادي.وكنا - بقدر ما نملك- نقف مع الفلاحين ضد قوى البطش.

وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو، رفعنا شعار "الاستيلاء على أرض سيبسون". وخاصة بعد أن نبهنى عبد الرحمن الخميسى إلى تهريب عائلة بدوى (وهى أكبر عائلة مالكة للأراضى الزراعية فى الدقهلية) لملكيتها الإقطاعية من خلال التحايل بنصوص فى قانون الإصلاح الزراعي، وفعلت مثلها العديد من العائلات الإقطاعية. ومع المعركة التى خضناها- فى هذا الشأن- صدر قرار بأن تشترى القرية أرض سيبسون بواقع من ثلاثة إلى خمسة أفدنة للفلاح المشترى. وقام الفلاحون بالاقتراض- وبكل الوسائل التى تمكنوا منها- من توفير ثمن هذه الأراضى لشرائها (وإذا كانت الأوضاع اليوم قد مكنت البعض من استرداد الأرض رغم دخولها الإصلاح، فهذا الوضع لا ينطبق على أراضى

سيبسون ، فهي لم تدخل الإصلاح ولكن تملكها الفلاحون "بيعا وشراءً"، وهكذا أصبحت هذه الأراضي ملك الناس الذين يعملون بها حتى الآن.

ويعتبر هذا إنجازاً هاما لنا في مجال تحركنا العملي لصالح الفلاحين والمواطنين. لقد بدأنا العمل السياسي في القرية - ومارسناه سنوات طويلة- من واقع القرية نفسها ومشاكلها ومتطلباتها، ونجحنا في أن نحقق لفلاحيها وأهلها إنجازات ما زالت قائمة، أو على الأقل تذكر لنا بكل اعتزاز وتقدير.

شهادة عبيد عياد

كانت فئة الفلاحين- قبل ثورة ٢٣ يوليو- تنقسم إلى قسمين:

١-عمالة الفلاحين: وهم الذين يقومون بالعمل بأيديهم ويتحملون على أكتافهم عبء الإنتاج الزراعي بأكمله، وكانوا يمثلون ٨٠٪ كحد أدنى.

٢-الملاك الزراعيين: وهى فئة لا تزيد نسبتها عن ٥-٧٪.

وترجع البداية إلى أثناء قيام الحرب العالمية الثانية، عندما كانت مصر هي المورد الأساسي للجيش البريطاني- والمملكة المتحدة- لإمداده بالغذاء من قمح ولحوم، بالإضافة للقطن المصري الذي كانت بريطانيا تحصل عليه بأرخص الأسعار العالمية، مما كان- في نفس الوقت- يعتبر بداية لنمو اقتصادي ذي منفعة لكل من التجار وأصحاب الأملاك والفلاحين على حد سواء.

لقد بدأ في عام ١٩٤٢ ظهور أول تسعيرة للقمح المصري، وكان ٢ جنيه للإردب (الذي يعرف لأول مرة أنه يعادل ١٥٢ كيلو جرام)، بينما كان يباع قبل ذلك بسعر ١٤٠ قرشا للإردب (مع احتساب ١٦٥ كيلو)، وكان الفلاح يبيع المحصول إلى "أسياد" القرية التي يعيش بها إجباريا).

وعندما حدث التغيير قامت الحكومة باستلام القمح والذرة والفول من الفلاحين بسعر ثلاثة جنيهات للإردب الواحد. ومن هنا بدأ الصراع يتضح بين الفئتين من الفلاحين:

-الغالبية الفقيرة من الفلاحين الذين يقومون بالزراعة والإنتاج.

-النسبة الضئيلة (٧٪) التي كانت تمثل الخطورة والشراسة والاستغلال تجاه الفلاحين، نتيجة تحكمهم في كافة مستلزمات الحياة، واستيلائهم على

نـاتج الأرض وثمـار الـتجارة الاسـتغلالية، دون أن يتركـوا للفلاحـين سـوى الفائض المحدود بعد القيمة الإيجارية العالية.

ولم يكـن مـن صـالح هـذه الأقلـية- بطبـيعة الحـال- أن تحـدث هـذه الصحوة في حياة الفلاحين، لتأثير ذلك مباشرة على دخولهم وجشعهم.

ويمكن تحديد وتوضيح الواقع الفلاحي آنذاك، كما يلي:

*كانـت هـناك مساحة تتراوح ما بين ٣٠-٥٠٪ من الأراضي الزراعية بورًا لا تجـد مـن يـزرعها، نظـراً للظـلم الواقـع عـلى الفلاحـين مـن ناحـية، ولضـعف الإنـتاج من ناحية أخرى حيث كان محصول الفدان لا يتجاوز ٦ قناطير قطن، ٥ أرادب قمـح بالإضـافة إلى أنه لم يكن هناك تسويق للزراعة النيلية وإن وجد سوق فكان ثمن المنتج لا يغطى ثمن مستلزمات الزراعة والقيمة الإيجارية.

وأتذكـر- فـي هـذا الشأن- النداء المشهور للأستاذ مكرم عبيد عندما كان وزيرا"... أعطوا الأرض للفلاحين، للحصول على أكبر كم من الإنتاج".

*انتشار عملية التأجير العينى للفلاحين، حيث يلتزم الفلاح بسداد كمية محددة من المحاصيل- بدلا من النقدية- مقابل عمله فى الأرض.

فكـان المستأجر يلتزم أن يقـدم لـلمالك ٥ قـناطير مـن القطـن، ٧ أرادب قمح، و٦ أرادب فول (وكان الإردب يحسب أيامها بوزن ١٦٥ كيلو جرام). مما كان شديد الصعوبة على الفلاحين لضعف الإنتاجية.

*كـان الإقطاعـيون يستعينون- فـي ظـلمهم للفلاحـين- بكـل مـن الـنظار والمعـاونين الشرسـين فـي مواجهـة الفلاحـين الفقـراء، بالإضـافة إلى أجهـزة السلطة الموضـوعة -منذ العهـد التركـي- فـى خدمتهم، وهـم رجـال البوليس ورجال الإدارة فى القرى كالعمد والمشايخ.

حيـث كـان لـرجل الشرطة- رغـم القوانين القائمة وغير المطبقة- إحضار

أي إنسان إلى مقر الشرطة واستخدام كل أساليب التعذيب والتهديد والإهانة معه، لا لسبب إلا لعدم تنفيذه أوامر "أسياده وأسياد القرية"، حيث يتحول الجاني إلى مجني عليه والمجني عليه إلى جاني.

وكان كل من لا يخضع "لأولي الأمر" (وهم الإقطاعيون وأتباعهم) يوضع في السجون ويطبق عليه نظام الرقابة الليلية. وكان من ظواهر الاستبعاد أنه إذا ضبط فلاح أجير يحمل أي شيء من المحاصيل الزراعية او متخلفات الزراعة من الحطب والقش، يوضع في "سلاحليك" العمدة ويقوم حلاق القرية بحلق نصف شنبه وكل شعر رأسه ويوضع على وجهه كمية من الدقيق ويقومون بلف شوارع القرية به امتهانا لكرامته وآدميته.

*من الأوضاع التي كانت مظهراً للممارسات العبودية من الإقطاعيين نحو الفلاحين، ظاهرة بيع العزب بسكانها من "الفلاحين والمواشي"، حيث يصبحون من ضمن أملاك المالك الجديد يتصرف معهم وبهم كيفما يشاء ويحلو له بما يفيده هو، مع الاستبداد والطغيان مع الفلاحين.

*كان العامل الزراعي يعمل من الساعة السابعة صباحاً حتى الرابعة مساء، مقابل ٨ قروش. ولم يكن يعمل سوى ١٢٠ يوماً في العام وباقي السنة يعيش هو وأسرته في البطالة.

*وصل سوء الحال بالفلاح، أن غالبية الفلاحين لم يكونوا يرتدون حتى الجلباب الأزرق الرخيص الموحد اللون، فالقليل منهم من كان يملك ثمنه، أما الأغلبية فكان لباس كل منهم هو القميص الدمور الذي لا يملك الفلاح اثنين منه، وعندما يبلى ويتمزق يقوم بترقيعه بأكثر من رقعة.

ولعل ذلك الوضع يؤكد حالة الفقر المدقع الذي يحيط بالفلاحين – في كل يوم وفي كل خطوة يخطونها – والذين كان "السادة" من الملاك والتجار

وأعوانهم لا يكتفون بذلك، بل يحرصون على إهانتهم ووصفهم بالصعاليك والجهلة وذوى العادات السيئة لمعاشرتهم للجاموس والبهائم.

وبعد قيام الثورة المجيدة، وصدور قانون الإصلاح الزراعي، وارتفع نداء "ارفع رأسك يا أخي، لقد مضى عهد الاستعباد".

وكان صداه عميقا لدى الفلاحين- رغم أنه كان علويا وليس له قاعدة شعبية منظمة تشرح أبعاده وأسسه- ولكن لأنه تعبير عن رغبتهم وحلمهم بالقضاء على الظلم والاستبداد، وأملا منهم في التغيير- ولو بعد حين- في السلطة الإدارية الفاسدة من رجال البوليس والإدارة في القرى.

كان ذلك هو صوت فجر جديد كان في وجدان الفلاحين المصريين الذين عانوا أشد المعاناة من الاستغلال والقهر والإذلال في كل العهود ولقرون طويلة.

وكانت مصادرة أراضي الإقطاعيين وتوزيعها على الفلاحين، حرصا من الثورة- والرئيس الراحل عبد الناصر- على بتر سلطة الإقطاع حتى لا يستغل أتباعه ضد الثورة وتوجهاتها التي أعطت الأمل للفلاحين.

وتم تسليم من لا يملك أرضاً مساحة تتراوح ما بين فدان وخمسة أفدنة- من أراضي كبار الملاك الذين كانوا يملكون آلاف الأفدنة- يقوم بزراعتها وتوريد محاصيلها إلى الجمعيات التعاونية الزراعية، حيث تم إنشاء التعاون الزراعي في كل ريف مصر.

وكان التوريد يتم بكميات معقولة وبأسعار مناسبة. وتقوم الحركة التعاونية- من خلال تنظيم الدورة الزراعية- بتقديم القمح إلى المطاحن المصرية، والمحاصيل التصنيعية مثل القطن إلى المصانع.

وتم منع تحكم تجار السوق السوداء في أسعار المنتج والمحاصيل

الزراعية لحساب الفئات الاستغلالية التي كانت تمص دماء الشعب الكادح.

واتسعت مجانية التعليم الذى كان أبناء الفلاحين محرومين منه.

* * *

ولكن لم يكن لدينا من يقوم بتنوير الفلاحين وتوعية الشباب، سواء بالظلم الذي كان واقعاً على الفلاحين والمخرج منه، أو بأبعاد الإصلاح الزراعي وواجباتنا نحوه لتطويره وجعله- فعلا- لخدمة فقراء الفلاحين.

إلى أن شاءت الظروف أن نتقابل مع مجموعة من المثقفين داخل سجن المنيا العمومى عام ١٩٥٢، حيث كنا متهمين فى قضية قتل ولا نعلم أي شيء عن العمل السياسى.

ومع تعارفنا على هؤلاء الشباب المثقف المحبوسين سياسيا فى السجن، عرفنا معنى العمل السياسى والفكر الشيوعى ومتطلباته بالنسبة لعامة الشعب من فلاحين وعمال.

من هنا- وبعد خروجنا من السجن- بدأنا فى تكوين مجموعات من شباب القرية (صفط اللبن- محافظة المنيا)، لتوعية وتثقيف شباب الفلاحين سياسياً وفكرياً، وكان هدفنا هو توصيل المعرفة إلى عامة الفلاحين فى قريتنا والقرى المجاورة لها. وكنا نعقد اجتماعاتنا فى الخفاء بعيداً عن أعين البوليس، حتى كثر عددنا وأصبح فى القرية الواحدة أكثر من ٤٥ شابًا. وكان لكل منا دوره، فالبعض مسئول عن توزيع المنشورات، والآخر تنظيم الاجتماعات.. إلخ. وكنا نفاجأ بحضور مجموعات من الشباب المثقف من خارج القرية لمشاركتنا فى الحركة والاجتماعات. وكان لهذا العمل رد فعل عالى النتيجة حيث كان الفلاحون يتشوقون إلى حضور اجتماعاتنا وتبادل الأحاديث معنا، حول مشاكل الفلاحين وقضايا الوطن والشعب.

وتواصل هذا العمل- بشكل منظم- حتى عام ١٩٥٩، حيث قبض علينا، وظللت بالمعتقل لمدة خمس سنوات.

شهادة عريان نصيف

من خلال تشرفى بالانتماء للحركة الشيوعية المصرية (حدتو) فى بداية الخمسينيات، وفى إطار محاولتى للتخصص - فكريا وحركيا - فى مجال العمل الفلاحى، تعلمت واكتسبت العديد من الخبرات النضالية الهامة فى هذا المحور الحيوى من حركة النضال الطبقى والسياسى، لعل أهمها:

أولا- أهمية تواصل حركة النضال الشيوعى فى المجال الفلاحى:

ولعله مما لا يمكن- ولا يجب- أن ينسى فى هذا الشأن، الدور الذى قام به مكتب الفلاحين بالحزب الشيوعى المصرى (حدتو)، طوال فترة السجن (٦٠-١٩٦٤):

*شكل هذا المكتب بمسئولية الزميل سيف صادق، ومتابعة الزميل فؤاد حبشى، وعضوية عدد من الزملاء السابق نضالهم فى هذا المجال أو المستهدف لهم ذلك.

*تحددت مهامه فيما يلى:

١-متابعة كل التطورات التى تحدث فى المجال الفلاحى والزراعى، ودراستها، ومحاولة التأثير فيها.

٢-عرض ودراسة الخبرات السابقة فى النضال الفلاحى.

٣-تربية كادر متخصص للعمل مع الفلاحين.

*عقد الكثير من جلسات عرض- وتحليل والحوار حول- العديد من القضايا الفلاحية، أذكر منها:

*معارك الفلاحين بالدقهلية (عبد السلام الخشان).

*أسلوب العمل مع الفلاحين (فؤاد حبشى).

*التركيب المحصولى (سيف صادق).

*عمال الزراعة (أحمد سليم).

*معركة ساحل سليم (أبو ضيف عبد الجليل).

*معركة كمشيش (عريان نصيف).

ثانيا- الاستفادة بطلبة الجامعة من أعضاء الحزب، فى العمل مع الفلاحين أثناء الإجازة الصيفية:

وكنموذج أذكره- ومارسته- فى هذا الشأن، تكليف عدد من زملاء كلية حقوق الإسكندرية بهذا النشاط، ومحاسبتهم عليه.

(عبد الفتاح موافى- الدقهلية، أحمد عرابى- أسوان، عريان نصيف- الغربية).

ثالثا- أهمية الابتكار فى أساليب النشاط الفلاحى:

*كتجربة التسويق التعاونى الأهلى لمحصول القطن عام ١٩٥٦ (قبل أن تتولى الحركة التعاونية الزراعية هذه المهمة)، التى تمت فى قرية "كلبشو" بمعرفة الزميل على الصباغ.

*وكتشكيل لجنتين للحركة الحزبية الفلاحية فى "كمشيش"، لجنة سرية للتخطيط والمتابعة للمعركة، ولجنة علنية للتحرك الجماهيرى، مع التنسيق الدقيق بينهما.

رابعا- لابد أن يكون للعمل الحزبى السرى فى الريف وبين الفلاحين، منابره الجماهيرية العلنية، سواء بقيادات واضحة، أو تشكيلات جماهيرية، أو منابر إعلامية. وفى مجال المنابر الإعلامية الجماهيرية، من المهم الإشارة- والإشادة - بخصوص مجلة "الفجر" التى صدرت - كأول مجلة فلاحية يسارية علنية عام ١٩٥٧- من خلال الحزب الشيوعى الموحد بالغربية، وبمسئولية:

عبد المنعم شتلة ومعه عدد من الزملاء منهم سيف صادق وعريان نصيف.

خامسا- من المفيد تحديد قضية رئيسية للعمل الفلاحي الحزبي- في مرحلة محددة أو موقع بذاته- تعطي لها أولوية الاهتمام، دون التقليل من الحركة الواجبة تجاه باقي القضايا.

وكمثال واضح وعملي لتلك القيمة، تركيز حركة النضال الفلاحي بالغربية في عامي ٥٧-١٩٥٨، على قضية التجميع الزراعي (أو ما سمى آنذاك تجربة "نواج" وهي إحدى قرى مركز طنطا التي بدأت منها التجربة).

وكان لذلك الاهتمام، أثره الإيجابي في نجاح التجربة- بكل أبعادها الإنتاجية والديمقراطية والفكرية- بل وامتدادها إلى عدد من المحافظات (كبني سويف) والعديد من القرى، بل وتبني دوائر مسئولة من النظام لها، حتى تمكنت القوى الرجعية الرافضة لها من إجهاضها استثماراً للحملة على الشيوعية عام ١٩٥٩.

سادسا- الموقف الثوري الحقيقي، يكمن في التعامل مع الواقع ومحاولة تطويره، وليس في رفضه والانعزال عنه. وتتمثل هذه الخبرة في تجربتين عمليتين قمنا بهما في الفترة من ٥٦-١٩٥٨.

*استثمار "المقاهي" في عواصم المراكز الريفية، في وضع مكتبات تضم الكثير من الإصدارات الوطنية والتقدمية المتوافرة آنذاك من خلال دور النشر الشيوعية والتقدمية، مما كان له أثر طيب لدى الكثيرين من رواد هذه المقاهي وخاصة الطلبة والشباب المثقف.

*الاهتمام "بمولد" السيد أحمد البدوي، الذي يرتاده ما لا يقل عن مليون مواطن - أغلبهم من الفلاحين الفقراء- من جميع أرجاء مصر.

ففي هذا المولد عام ١٩٥٧، استطعنا أن نقدم مجهوداً تقدميا لهذه

الجماهير، من خلال:

*إصدار كتاب "السيد البدوى.. نصير الفقراء" لعبد المنعم شتلة.

*إقامة معرض رسوم- تتميز بالواقعية والبساطة- للفنانة فاطمة العرارجى.

*استضافة مجموعة من كبار الفنانين الشعبيين آنذاك (زكريا الحجاوى- أبو دراع- خضرة محمد خضر)، حيث لم يكن هناك بعد ما سمى "الثقافة الجماهيرية"، والتعامل- والتعاون- الوثيق والحميم معهم بما تضمن تأليف موّال يومي- طوال فترة المولد- للفنان "أبو دراع" ،تناول قضايا.. الفلاحين والعمال وحرية الوطن والقمر الروسى أيضاً.

*إجراء مناقشات بسيطة مع الفلاحين من رواد المولد، حول همومهم ومشاكل الزراعة وحلولها الحقيقية، وإقامة علاقات إنسانية معهم، تواصل بعضها- بشكل حزبي عضوي- فيما بعد.

شهادة محمد الجندى

بدأ العمل فى الريف فى "الحركة المصرية للتحرر الوطنى" ثم اتسع بعد الوحدة مع "إسكرا" وتكوين "الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى" (حدتو).

فى عام ١٩٤٧ تكونت داخل "حدتو" لجنة للعمل فى الأقاليم بمسئولية فؤاد عبد الحليم وكان عضواً فى اللجنة المركزية، وعضوية حمدي عبد الجواد ومحمد الجندي وصبحي زغلول. كانوا جميعاً طلبة فى الجامعة وتتراوح أعمارهم بين العشرين والواحد والعشرين.

محمد الجندي، كان طالبا بالليسانس بكلية الحقوق، وفؤاد عبد الحليم طالبا بالسنة الأولى بكلية الآداب، وحمدي عبد الجواد بالسنة الأولى بالمعهد العالي للهندسة، وعمل معهم بعض الوقت: عبد المنعم الغزالى (وكان طالبا بالمدارس الثانوية).

قرروا التفرغ والاحتراف للعمل بالأقاليم. عمل حمدي عبد الجواد ومحمد الجندي بالوجه البحري (ومعهما المسئول السياسي فؤاد عبد الحليم)، وصبحي زغلول بالوجه القبلي. هجر هؤلاء الشبان كل شيء.. أسرهم ودراساتهم فى الجامعة، واحترفوا العمل فى الأقاليم وأقاموا هناك.

لم يعملوا كزائرين لبعض القرى والمدن، بل استقروا بها وأخذوا يتنقلون بين المدن والقرى المختلفة. ونجحوا فى تكوين لجان للتنظيم فى الغربية والدقهلية والمنوفية ودمياط والقليوبية، ولجان ومجموعات أخرى فى الوجه القبلى.

ذهب الشبان الشيوعيون إلى الريف فى ظروف إرهاب شديد ودعاية تتهم الشيوعيين بالكفر والإباحية.

ونجحوا فى خلق "نوايات" فى مختلف المحافظات (المديريات)، وبعض المدن والقرى. وكانوا يستعينون ببعض الطلبة والمثقفين والعمال المقيمين هناك. دخلوا إلى بعض القرى حول زفتى وميت غمر والزقازيق وطنطا، مثل ههيا وقحافة وميت يعيش.

وفى وجه قبلى كانت لنا أيضاً اتصالات فى عدد من المحافظات (بنى سويف- المنيا- أسيوط- أسوان)، ووصلنا إلى دير المحرق حيث وجد أحد الرهبان الماركسيين فى هذا الدير.

رفع الشيوعيون فى ذلك الوقت شعار "الأرض لمن يفلحها"، وكانت الملكية الزراعية آنذاك مركزة فى أيدى عدد قليل من الملاك على رأسهم الملك الذى كانت تبلغ ملكيته حوالى مليون فدان.

ولقد صدرت عدة مؤلفات عن الوضع البائس للفلاح المصري والعامل الزراعي، مثل: كتاب الأب عيروط، وكتاب "مشكلة الفلاح" لأحمد صادق سعد الذي صدر عن "دار القرن العشرين"، وأيضاً كتاب "الشيوعية فى الإسلام" لمحمد أبو الحسن الغنيمى الذي جاء فيه "لماذا لا تكون الأرض كلها ملكا للأمة، وتكون الحكومة قيّمة عليها، ويكون الفلاحون جميعا مزارعين، فيشتغل كل حسب طاقته ثم يأخذ بحسب حاجته؟"

وتحدث كتاب "أهدافنا الوطنية" لشهدى عطية الشافعى وعبد المعبود الجبيلى أيضاً عن المسألة الزراعية، وجاء فيه أن التخلص من آثار الإقطاع شرط أساسي لأي استغلال كامل، الأمر الذى يستوجب توزيع الملكية الزراعية باستيلاء الحكومة على الملكيات الكبيرة بعد حد معين وتوزيعها- هى والأراضى الحكومية وأراضى الأوقاف- على فقراء الفلاحين والعمال الزراعيين.

وتناولت جريدة "الجماهير" مشاكل الفلاحين، وداومت على نشر التحقيقات الصحفية عن البؤس والاستغلال والإرهاب في الريف، ونشرت برنامجا يطالب بتوزيع الملكيات الزراعية الكبيرة وزيادة الأرض المنزرعة وإدخال الآلات الحديثة بحيث تكون تحت تصرف صغار الفلاحين المتحدين في جمعيات تعاونية، ودعت إلى الوحدة بين العمال والفلاحين.

وإلى جانب جريدة "الجماهير"، لعبت المنشورات التى كانت تصدرها "حدتو" دوراً هاما. وإدراكاً لأهمية توزيع الجريدة، وجد فى كل هيئة حزبية صندوق يجمع فيه حصيلة توزيعها الذى كان يقوم به الأعضاء، وترسل هذه الحصيلة إلى الجريدة.

وكانت لجنة الأقاليم تصدر منشوراتها على "روينو" خاص بها، وتصدر أيضاً مجلة "صوت الفلاح". وقد اقتحم البوليس السياسى المسكن الذى كان به الروينو وقبض فيه على فؤاد عبد الحليم ومحمد الجندى وفؤاد الدهان (قضية طنطا ١٩٤٨).

نجح الكادر الأول الذى أقام فى الأقاليم، فى تكوين كادر محلى مثل جمال زكى وعبد المعطى عبد النعيم (شبين الكوم)، فيصل (زفتى)، محمد على حمزة (المحلة)، فؤاد الدهان (طنطا).

وإلى جانب النشاط بين الفلاحين، وجد نشاط بين العمال فى المحلة وعمال محالج القطن فى المدن الأخرى. وأقيمت مدرسة كادر فى زفتى.

وساعد الكادر المحلى فى تكوين منظمات محلية فى العديد من المحافظات والمدن (الغربية- المنوفية- الدقهلية- دمياط- المحلة- القليوبية- الشرقية)، وبعض محافظات الوجه القبلى.

وفى عام ١٩٤٨ تفشت الانقسامات والتكتلات داخل "حدتو" وكانت

تقوم على أساس ضرورة التركيز- أو قصر العمل- بين العمال، واعتبار أي عمل بين فئات أخرى انحرافا. ومع ذلك لم تنجح هذه التكتلات والانقسامات في أن تصل إلى الأقاليم وظل العمل فيها موحداً، ونجح العمل المستمر بين الفلاحين في تكوين كادر فلاحي ظهر بعد ذلك في "قضية المنصورة" التي تحركت عام ١٩٤٩.

ففي فترة العمل بالأقاليم، كان البوليس السياسي يركز في البداية على القاهرة والإسكندرية، وكان القبض على فؤاد عبد الحليم وجمال زكي عام ١٩٤٨ رسالة إنذار لهذه الأجهزة بانتشار النشاط الشيوعي في الريف.

وتبع ذلك القبض عليَ في "ههيا" وقضائي يوما في القسم مع الفلاحين، ثم مداهمة المنزل الذي كنا نقيم فيه في طنطا والذي كان يحتوي على "روينو" الطباعة، وأمضينا في سجن طنطا ١٤ يوماً.

وبعد إعلان الأحكام العرفية في ١٥ مايو، وتحويل القضايا الشيوعية إلى قضايا عسكرية، ضمت قضايا "ههيا وطنطا"، وحبسنا حبسا مطلقا إلى أن صدر الحكم عليّ- من المحكمة التي كان يرأسها حسين الطنطاوي- بالسجن خمس سنوات، وصدر نفس الحكم ضد فؤاد عبد الحليم وحمدي عبد الجواد وعبد القادر العايدي، وحكم على فؤاد الدهان بالسجن ثلاث سنوات.

وفي أثناء الحبس الاحتياطي، استدعيت- مع حمدي عبد الجواد- للتحقيق في "قضية المنصورة".

المنظمات الشيوعية المصرية منذ العشرينات إلى عام ١٩٦٥

المسلسل	اسم المنظمة	المؤسسون	عام التأسيس
١	الحزب الاشتراكي المصرى		١٩٢١
٢	الحزب الشيوعى المصرى		١٩٢٢
٣	منظمة تحرير الشعب	مارسيل اسرائيل، تحسين المصرى، أسعد حليم، حسين كاظم، فوزى جرجس، أبو بكر سيف النصر، فتحى الرملى وآخرون	١٩٣٩ ١٩٤٠
٤	مجموعة التروتسكيين	أنور كامل، جورج حنين، رمسيس يونان	١٩٤٠
٥	الحركة المصرية للتحرر الوطنى(حمتو)	هنرى كورييل	١٩٤٣
٦	إسكرا	هليل شوارتز، عبد المعبود الجبيلى، عبد الرحمن الناصر، شهدى عطية وآخرون.	١٩٤٣
٧	منظمة القلعة	مصطفى هيكل، عبد العزيز بيومى وآخرون	١٩٤٣
٨	اتحاد شعوب وادى النيل	تنظيم ماركسى إسلامى، انقسام من الحركة المصرية (عبد الفتاح الشرقاوى وآخرون).	١٩٤٦
٩	الطليعة الشعبية للتحرر (طشت)	التى اشتهرت أيضاً بالفجر الجديد عام ١٩٤٥(يوسف درويش، صادق سعد، ريمون دويك، يوسف المدرك،	١٩٤٦

		محمود العسكرى، رشدى صالح، أبو سيف يوسف، طه سعد عثمان وآخرون). ثم تحولت إلى منظمة الديموقراطية الشعبية عام ١٩٤٩ بعد إنضمام حركة تحرير الشعب ثم طليعة العمال فى بداية الخمسينيات ثم حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى عام ١٩٥٧ .	
١٠	طليعة الاسكندرية	انقسام من الحركة المصرية (د.حسونة من الحزب الأول وعدلى جرجس)	١٩٤٦
١١	العصبة الماركسية	انقسام من الحركة المصرية (فوزى جرجس وعبد الفتاح القاضى، شعبان حافظ من الحزب الأول وآخرون.	١٩٤٦
١٢	الطليعة المتحدة	إسكرا + منظمة تحرير الشعب.	١٩٤٦
١٣	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)	الحركة المصرية + إسكرا + بعض أعضاء من تحرير الشعب، ومنهم مجموعة روما.	١٩٤٧
١٤	[illegible] تحرير الشعب (حتش)	(راؤول مكاريوس، عبد الرحمن عزت، حسين توفيق طلعت) وانضمت إلى الطليعة الشعبية للتحرر عام ١٩٥٩ وسميت بالديمقراطية الشعبية.	١٩٤٧
١٥	التكتل الثورى	انقسام من الحركة الديمقراطية (شهدى عطية الشافعى وأنور عبد الملك).	١٩٤٧

١٦	الجبهة الاشتراكية	فتحى الرملى	١٩٤٧
١٧	صوت المعارضة	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيدنى سلامون، أوديت حزان وسعد الطويل وعنايات المنيرى وفاطمة زكى وآخرون).	١٩٤٨
١٨	القاعدة المشتركة	بقية أعضاء حدتو الذين لم ينفصلوا تمامًا كالعمالية الثورية، والتكتل الثورى.	مايو ١٩٤٨
١٩	نحو منظمة بلشفية	انقسام من الحركة الديمقراطية (ميشيل كامل، أحمد شوقى الخطيب وسعد رحمى وآخرون انضمت بعد ذلك إلى صوت المعارضة).	١٩٤٨
٢٠	المنظمة الشيوعية المصرية(م ش م)	صوت المعارضة بعد المؤتمر (أوديت حزان، وسليم سيدنى، ميشيل كامل، فاطمة زكى وآخرون)	١٩٤٨
٢١	نحو حزب شيوعى مصرى (نحشم)	انقسام من حدتو (هليل شوارتز، وبقايا إسكرا منهم أحمد فؤاد، إنجى أفلاطون، إبراهيم المانسترلى وآخرون).	١٩٤٨
٢٢	حدتو العمالية الثورية	انقسام من الحركة الديمقراطية (عبد المعبود الجبيلى، أحمد شكري سالم، مارسيل اسرائيل، عبدالرحمن الناصر، فوزى حبشى وآخرون).	١٩٤٨
٢٣	جبهة التحرير التقدمى (جات)	(عصام الدين جلال، أحمد طه، اسماعيل جبر، صلاح سلمى، يحيى المازنى وآخرون).	١٩٤٨
٢٤	اتجاه النضال الثورى	إبراهيم عرفة وآخرون. امتداد العصبة الماركسية بعد	١٩٤٩

٢٥	نواة الحزب الشيوعى المصرى	تحللها (فوزى جرجس) واتجاه النضال الثورى وبقايا من التكتل الثورى.	١٩٤٩
٢٦	الحزب الشيوعى المصري (الراية)	(فؤاد مرسى، إسماعيل صبرى عبد الله وسعد زهران داوود عزيز، مصطفى طيبة وآخرون)	١٩٥٠
٢٧	النجم الأحمر	بقايا عمالية ثورية (عدلي جرجس، فوزى حبشى، أحمد خضر وآخرون).	فبراير ١٩٥٠
٢٨	طليعة الشيوعيين المصريين	بقايا التكتل الثورى (فخرى لبيب، عبد الله كامل وآخرون ممن خرجوا من النواة).	١٩٥٠
٢٩	وحدة الشيوعيين	إبراهيم فتحى وعلى الشوباشى وآخرون	١٩٥٠
٣٠	الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (التيار الثورى)	انقسام من الحركة الديمقراطية (سيد سليمان رفاعى، حمدى عبد الجواد، فؤاد عبد الحليم).	١٩٥٣
٣١	الحزب الشيوعى المصرى الموحد	الحركة الديمقراطية+ نواة الحزب الشيوعى + طليعة الشيوعيين+ النجم الأحمر + التيار الثورى.	١٩٥٤
٣٢	طليعة الشعب الديمقراطية	عناصر رافضة لوحدة الموحد من النواة وغيرها من التنظيمات (فوزى جرجس)	١٩٥٦
٣٣	الحزب الشيوعى المصرى المتحد	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصرى (الراية).	١٩٥٧
٣٤	الحزب الشيوعى المصرى (حزب ٨ يناير)	الحزب الموحد + الحزب الشيوعى المصري(الراية) + حزب العمال والفلاحين ثم خرجت المجموعة الرئيسية من حدتو وكونت الحزب الشيوعى المصرى (حدتو). طليعة الشعب الديمقراطية + وحدة	١٩٥٨

٣٥	الطليعة الشيوعية (ط.ش)	الشيوعيين التى خرجت من الوحدة قبل أن تكتمل.	١٩٥٨
٣٦	الحزب الشيوعى المصرى (حدتو)	أعضاء من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى خرجوا من حزب ٨ يناير.	١٩٥٨
٣٧	نواة الحزب الشيوعى المصرى (الجديدة).	بقايا الطليعة الشيوعية خارج المعتقلات بعد تحلل الطليعة فى الواحات، (رمسيس لبيب).	١٩٦٢
٣٨			
٣٩			
٤٠	الشيوعيون داخل السجون		

المؤسسون فى لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥

أحمد نبيل الهلالى	عبد الخالق الشهاوى
إسماعيل عبد الحكم	فاطمة زكى
خالد حمزة	فتح الله محروس
داود عزيز	فخرى لبيب
رمسيس لبيب	فوزى حبشى
سعد الطويل	مبارك عبده فضل
سمير أمين	محمد الجندى
سيد عبد الوهاب ندا	محمد فخرى
شكرى عازر	محمود أمين العالم
طه سعد عثمان	نجاتى عبد المجيد

ويتعاون مع اللجنة فى عملها أ. د. عاصم الدسوقى، د. عماد أبو غازى، والسادة الباحثون بشير السباعى -صلاح العمروسى- مصطفى مجدى الجمال- محمود مدحت- حنان رمضان

قائمة مطبوعات

قائمة مطبوعات

مركز البحوث العربية

١- فؤاد مرسي، مصير القطاع العام فى مصر ١٩٨٧.

٢- لطيفة الزيات (تحرير)، المشكلة الطائفية فى مصر ١٩٨٨.

٣- رشدى سعيد وآخرون، أزمة مياه النيل، ١٩٨٨.

٤- عواطف عبد الرحمن، المدرسة الاشتراكية فى الصحافة، ١٩٨٨.

٥- وداد مرقس، سكان مصر، ١٩٨٨.

٦- أبوسيف يوسف وآخرون، النظرية والممارسة فى فكر مهدى عامل :أعمال ندوة فكرية ، ١٩٨٩.

٧- إبراهيم برعى ، دليل قرارات المجلس الاقتصادى والاجتماعى العربى ١٩٥٣/١٩٨٩.

٨- إبراهيم العيسوى، المسار الاقتصادى فى مصر وسياسات الاصلاح، ١٩٩٠.

٩- إبراهيم بيضون وآخرون، ثقافة المقاومة ومواجهة الصهيونية أعمال ندوة لجنة الدفاع عن الثقافة القومية ١٩٩٠

١٠- أحمد عبد الله (المحرر) ، الانتخابات البرلمانية فى مصر- نشر مشترك مع دار سينا ١٩٩٠.

١١- حيدر إبراهيم ، أزمة الاسلام السياسى، الجبهة الاسلامية القومية فى السودان ١٩٩٠.

١٢- محمد عبيد غباش ، من لايعرف شيئا فليكتب، خريشات رجل بلاد النفط ، ١٩٩١.

١٣- ألفت الروبى، الموقف من القص فى تراثنا النقدى، ١٩٩١.

١٤- محمد على دوس، حياة موارة فى العمل السياسى العربى الأفريقى، ١٩٩١.

١٥- أحمد نبيل الهلالى وآخرون ، اليسار المصرى وتحولات الدول الاشتراكية : أعمال ندوة عقدت بالمركز ١٩٩٢.

١٦- أمينة رشيد وآخرون، قضايا المجتمع المدنى فى ضوء فكر جرامشى (مع دار عيبال بدمشق)، ١٩٩٢.

١٧- سمير أمين،من نقد الدولة السوفيتية إلى الدولة الوطنية، ١٩٩٢.

١٨- المسألة الفلاحية والزراعية فى مصر:أعمال ندوة عقدت بالمركز، ١٩٩٢.

١٩- جويل بنين، زكارى أوكمان ، العمال والحركة السياسية فى مصر ج١، ترجمة أحمد صادق سعد، ١٩٩٢

٢٠- إشكاليات التكوين الاجتماعى والفكريات الشعبية فى مصر: أعمال ندوة بالمركز نشر مع دار كنعان ، ١٩٩٢.
٢١- أحمد يوسف أحمد : منطق العمل الوطنى- حركة التحرر الوطنى الفلسطينية فى دراسة مقارنة مع حركات التحرر الأفريقية بالتعاون مع مركز القدس للدراسات الإنمائية عمان ، ١٩٩٢.
٢٢- ليلى عبد الوهاب ، سوسيولوجية الجريمة عند المرأة ، ١٩٩٢.
٢٣- أحمد محمد البدوى ، لبن الأبنوس يازول ١٩٩٢
٢٤- مركز دراسات المرأة الجديدة ومركز البحوث العربية، المرأة وتعليم الكبار ، ١٩٩٢.
٢٥- ادريس سعيد ، عظام من خزف ، ١٩٩٣.
٢٦- دارام جاى،(تحرير) ، صندوق النقد الدولى وبلدان الجنوب ترجمة /مبارك عثمان ، نشر مع اتحاد المحامين العرب ١٩٩٣.
٢٧- مايكل دراكوه (تحرير) ، الأنهار الأفريقية وأزمة الجفاف، نشر بالتعاون مع منظمة البحوث الاجتماعية لشرق وجنوب أفريقيا ١٩٩٤.
٢٨- عادل شعبان وآخرون، الحركة العمالية فى معركة التحول، ١٩٩٤.
٢٩- نادية رمسيس فرح (تحرير) السكان والتنمية فى مصر نشر مع دار الأمين ، ١٩٩٤.
٣٠- آمال سعد زغلول، دور الحركة الشعبية فى حرب السويس، ١٩٩٤.
٣١- لجنة الدفاع عن الثقافة القومية (دراسات ووثائق ١٩٧٩-١٩٩٤)(من مقاومة التطبيع إلى مواجهة الهيمنة) ١٩٩٤.
٣٢- على عبد القادر، برامج التكيف الهيكلى والفقر فى السودان، ١٩٩٤.
٣٣- حلمى شعراوى وعيسى شيفجى، حقوق الإنسان فى أفريقيا والوطن العربى، ١٩٩٤.
٣٤- لطيفة الزيات (ترجمة وتعليق)، حول الفن، ١٩٩٤.
٣٥- جودة عبد الخالق (تحرير)، تطور الرأسمالية ومستقبل الاشتراكية فى مصر والوطن العربى : ندوة مهداة إلى فؤاد مرسى، ١٩٩٤.
٣٦- عبد الغفار شكر، التحالفات السياسية فى مصر ١٩٩٤.
٣٧- صادق رشيد، أفريقيا والتنمية المستعصية، ت/ مصطفى مجدى الجمال، ١٩٩٥.
٣٨- عبد الغفار أحمد، السودان بين العروبة والأفريقية، ١٩٩٥.
٣٩- بيترنيانجو، من تجارب الحركات الديمقراطية فى أفريقيا والوطن العربى، مع اتحاد المحامين العرب ترجمة حلمى شعراوى وآخرون، ١٩٩٥ .
٤٠- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى: حالة مصر، نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٦.
٤١- سمير أمين (تحرير) المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة لبنان، مشترك مع مدبولى

١٩٩٦.

٤٢- مصطفى كامل السيد(تحرير)، حقيقة التعددية السياسية فى مصر، نشر مشترك مع مدبولى ١٩٩٦.

٤٣- سيد البحراوى (تحرير)، لطيفة الزيات : الأدب والوطن، نشر مشترك مع دار المرأة العربية، ١٩٩٦.

٤٤- عبد الباسط عبد المعطى: بحوث الطفولة فى الوطن العربى، نشر مشترك مع المجلس العربى للطفولة والتنمية ، ١٩٩٦.

٤٥- جويل بنين، زكارى لوكمان، العمال والحركة السياسية فى مصر الجزء الثانى، ترجمة إيمان حمدى، نشر مع دار الخدمات النقابية والعمالية.

٤٦- عبد الغفار شكر (تحرير)، الجمعيات الأهلية وأزمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٧.

٤٧- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المشرق العربى نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٧ .

٤٨- سمير أمين (تحرير)، المجتمع المدنى والدولة فى الوطن العربى : حالة المغرب العربى نشر مشترك مع دار مدبولى ، ١٩٩٧ .

٤٩- كمال مغيث (تحرير)، التعليم وتحديات الهوية القومية، نشر مشترك مع دار المحروسة، ١٩٩٨.

٥٠- عبد الغفار شكر، اليسار العربى وقضايا المستقبل ١٩٩٨. نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٨, .

٥١- عاصم الدسوقى (تحرير)، عمال وطلاب فى الحركة الوطنية المصرية . نشر مشترك مع دار المحروسة ، ١٩٩٨ .

٥٢ - محمد أبو مندور وأخرون، الإفقار فى بر مصر، نشر مشترك مع دار الأهالى، ١٩٩٨.

٥٣- عبد الغفار أحمد (تحرير) ، إدارة الندرة، ترجمة صلاح أبو نار وآخرون، ١٩٩٨.

٥٤ - لايف مانجر وأخرون، البقاء مع العسر، ترجمة صلاح أبو نار- مجدى النعيم، ١٩٩٨.

٥٥ - لايف مانجر، لفوفة النوبة، ترجمة مصطفي مجدى، ١٩٩٩.

٥٦ - أمينة رشيد (تحرير): التبعية الثقافية : مفاهيم وأبعاد، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

٥٧ - محمود عودة، (إشراف)، الأسر المعيشية فى الريف المصرى، نشر مشترك مع جامعة عين شمس، ١٩٩٩.

٥٨ - محمد محيى الدين، (إشراف)، نساء الغزل والنسيج : الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ١٩٩٩.

٥٩- عبد الحميد حواس وآخرون، المأثور الشعبى فى الوطن لعربى، نشر مشترك مع المنظمة العربية للتربية وللثقافة وللعلوم، ١٩٩٩.
٦٠- عبد الباسط عبد المعطى(تحرير)، العولة والتحولات المجتمعية فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار مدبولى، ١٩٩٩.
٦١- عزة خليل (إعداد)، خريطة سياسات وخدمات الطفولة فى مصر، نشر مشترك مع المركز القومى للثقافة والطفل، ١٩٩٩.
٦٢- أمينة رشيد (تحرير)، الحريات الفكرية والأكاديمية نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.
٦٣- فاروق القاضى، فرسان الأمل : تأمل فى الحركة الطلابية المصرية، ٢٠٠٠.
٦٤- جردا منصور، مديحة دوس (تحرير)، سلسلة أوراق في علم اللغة، الورقة الأولي- يناير ٢٠٠٠ حول (مشكلات تدريس اللغات في مصر)، الورقة الثانية- نوفمبر ٢٠٠٠ (دراسات حول اللغة العربية في مصر)، الورقة الثالثة- مايو ٢٠٠٢ (مساهمات في اللغويات العربية)، نشر مشترك مع جماعة اللغويين في القاهرة.
٦٥- حلمى شعراوى، أفريقيا فى نهاية قرن، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.
٦٦- مصطفى مجدي الجمال (تحرير)، فلسطين والعالم العربى. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.
٦٧- عبد الغفار شكر (تحرير)، تحديات المشروع الصهيونى والمواجهة العربية. نشر مشترك مع دار مدبولى، ٢٠٠١.
٦٨- سلسلة كتب شهادات ورؤى : من تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ج١ ,٢ ,٣ ,٤ ,٥، ٦ بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥.
٦٩- فرانسوا أوتار وفرانسوا بوليه،، فى مواجهة دافوس، ترجمة : سعد الطويل، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠١.
٧٠- عبد الغفار شكر (إشراف)، الجمعيات الأهلية الإسلامية فى مصر، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.
٧١- كويسى براه، اللغات الأفريقية وتعليم الجماهير، ترجمة وتحرير حلمى شعراوى، بالتعاون مع مركز الدراسات المتقدمة للمجتمع الأفريقى بكيب تاون، الناشر، دار الأمين.
٧٢- فيتينو بيكيلى، وأخرون، دراسات مختارة/ التحولات الاجتماعية والمرأة الأفريقية، بالتعاون مع منظمة أوسريا بأديس أبابا، تقديم د. عبد الغفار محمد أحمد، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.
٧٣- رمسيس لبيب (تحرير)، العمال فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥, ٢٠٠١.

٧٤ ـ سعد الطويل (تحرير)، الأجانب فى الحركة الشيوعية المصرية حتى ١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥. ٢٠٠٢.

٧٥- سمير أمين، مستقبل الجنوب فى عالم متغير، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٧٦ ـ أكيكي بي موجاجو وآخرون، دراسات اجتماعية في شرق وجنوبي أفريقيا، بالتعاون مع منظمة زوسريا بأديس أبابا، الناشر دار الأمين، ٢٠٠١.

٧٧ ـ سمير أمين وآخرون، العلاقات العربية الأوربية: قراءة عربية نقدية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٧٨- يسرى مصطفى (تحرير)، المجتمع المدني وسياسات الإفقار فى العالم العربى، نشر مشترك مع دار ميريت، ٢٠٠٢.

٧٩ ـ د. عبدالغفار محمد أحمد، في تاريخ الأنثروبولوچيا والتنمية في السودان، ترجمة: مصطفي مجدى نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٢.

٨٠ ـ عبدالغفار شكر (تحرير)، الجمعيات التعاونية كمنظمات شعبية تنموية: الجزء الأول، نشر مشترك مع مركز المحروسة ٢٠٠٢.

٨١ ـ حنان رمضان (تحرير)، المرأة في الحركة الشيوعية المصرية حتي ١٩٦٥، بالتعاون مع لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام ١٩٦٥, ٢٠٠٢.

كراسات المركز .

١- أحمد هنئ، حول إجراءات الإصلاح الاقتصادى فى الجزائر، ١٩٨٨.

٢- عصام فوزى، ترجمة ثلاثة قراءات سوفيتية فى البيريسترويكا، ١٩٨٨.

٣- أشرف حسين ، ببليوجرافيا الطبقة العاملة ، ١٩٨٨

٤- عبد العظيم أنيس، قراءة نقدية فى كتابات ناصرية، ١٩٨٩

٥- مصطفى نور الدين عطية، المجتمعات التابعة ومشكلات التنمية المستقلة، ١٩٨٩

٦- موشى ليوين وآخرون، تقديم/ فؤاد مرسي ، البيريسترويكا فى عيون الآخرين ، ١٩٩٠

٧- نادر فرجانى، الأزمة العربية الكبرى

٨- محمد أبو مندور وآخرون، أزمة المياه فى الوطن العربى، نشر مشترك مع دار الأمين ١٩٩٩.

٩- إسماعيل زقزوق، المهمشون بين النمو والتنمية، نشر مشترك مع دار الأمين، ١٩٩٩.

١٠- عبد الغفار شكر، تجديد الحركة التقدمية المصرية، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١١- حنان رمضان (إعداد)، العراق تحت الحصار، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠٠.

١٢- أحمد صالح، الانترنت والمعلومات، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١ .

١٣- عريان نصيف (تحرير) الأرض والفلاح، نشر مشترك مع دار الأمين، ٢٠٠١.

١٤- أحمد عبد الله، عمال مصر وقضايا العصر، نشر مشترك مع دار المحروسة، ٢٠٠٢.

١٥ ـ عريان نصيف (تحرير)، التشريع التعاوني في مصر: الواقع... وآفاق المستقبل، نشر مشترك مع دار الآمين، ٢٠٠٢

* **شهيدة الباز (إشراف)، مصطفى مجدى الجمال (مسئول التحرير) أفريقية ـ عربية : مختارات العلوم الاجتماعية**، مجلد١ (أكتوبر ١٩٩٩)، مجلد٢(مارس ٢٠٠٠) مجلد ٣ (أكتوبر ٢٠٠٠) مجلد ٤ (أكتوبر ٢٠٠١) مجلد ٥ (٢٠٠٢) نشر مشترك مع كوديسريا ودار الأمين.

كراسات كوديسريا

١- أوكوادبا نولى، الصراع العرقى فى أفريقيا،١٩٩١ .

٢- ايبو هو تشغول، الجيش والعسكرية فى أفريقيا، ١٩٩١.

٣- ديساليجن رحماتو، منظمات الفلاحين فى أفريقيا : قيود وإمكانيات ، ١٩٩١.

٤- جيمى آديسينا، الحركات العمالية وضع السياسة فى أفريقيا، ١٩٩٢.

٥- أديمولات - سالو ، تغير البيئة العالمية: جدول أعمال بحث لافريقيا ، ١٩٩٣.

٦- م. مامدانى ،آخرون، الحركات الاجتماعية والعلمية الديمقراطية فى أفريقيا.

٧- ثانديكا مكانداويرى ، التكيف الهيكلى والأزمة الزراعية فى أفريقيا .

٨- مومار ديوب، ممادوديوف، تداول السلطة السايسية وآلياتها فى أفريقيا، ١٩٩٢.

٩- آرشى مافيجى، الأسر المعيشية وآفاق إحياء الزراعة فى أفريقيا، ١٩٩٣.

١٠- سليمان بشير ديانى،المسألة الثقافية فى أفريقيا، ١٩٩٦.

١١- ميشيل بن عروس، الدولة - والمنشقون عليها، ١٩٩٦.

١٢- عبدو مالك سيمون، عملية التحضر، والتغير فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٣- أمينة ماما، دراسات عن المرأة ودراسات النساء فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٤- تادى آكين آنيا، العولمة السياسية الاجتماعية فى أفريقيا، ١٩٩٩.

١٥- مامادو ضيوف، ليبرالية سياسية أم انتقال ديمقراطى : منظورات أفريقية، ١٩٩٩.

١٦- حكيم بن حمودة نظريات ما بعد التكيف الهيكلى، ٢٠٠٠.

١٧- كلوديو شوفتان، ماذا بعد ممارسات التنمية المشوهة فى أفريقيا؟، ٢٠٠٠.

١٨- أشيلى ميمبى، عن الحكم الخاص غير المباشر، ٢٠٠٠.

سلسلة كراسات اللجنة الاقتصادية لأفريقيا

أ- التنمية بالمشاركة

١- تعزيز التواصل بين مؤسسات صنع السياسة الحكومية وبين الجامعات والمراكز البحثية من أجل دعم الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا .

٢- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا: دروس من تجارب قطرية.

٣- تحسين أداء المشروعات العامة فى أفريقيا.

٤- تعبئة وإدارة الموارد المالية فى الجامعات الأفريقية.

٥- تحسين إنتاجية الخدمات العامة فى أفريقيا.

٦- دعم حيوية الجامعة الافريقية فى التسعينيات ومابعدها.

٧- تهيئة البيئة لتنمية الفعاليات التنظيمية فى أفريقيا.

٨- تعبئة القطاع غير الرسمى والمنظمات غير الحكومية من أجل الإصلاح الاقتصادى والتنمية فى أفريقيا.

٩- الأخلاقيات والمساءلة فى الخدمات العامة الأفريقية.

١٠- أعمال ندوة حول الديمقراطية والمشاركة الشعبية لقادة نقابات العمال فى أفريقيا.

١١- الإثنية والصراع السياسى فى أفريقيا.

١٢- ميثاق عمل للمنظمات غير الحكومية فى أفريقيا .

ب- سلسلة التنمية بالمشاركة

١- دراسة حالة فى ناميبيا.

٢- دراسة حالة فى أوغندا.

٣- كيف تؤثر المنظمات الأهلية فى السياسات عن طريق البحث والضغط والدعوة .

٤- المبادىء الأساسية لتعزيز الحوار والتعاون والتداخل ين الحكومات والمنظمات الشعبية.

٥- دراسة حالة فى جامبيا.

٦- دراسة حالة فى أثيوبيا.

ج- سلسلة الدليل التدريبى للتنمية بالمشاركة الشعبية

١- الاتصال فى خدمة التنمية بالمشاركة.

٢-المنظمات المحلية غير الحكومية وتحقيق الاكتفاء الذاتى من الغذاء فى المجتمعات المحلية .

٣- مناهج تطوير المنظمات الأهلية للمشروعات .

٤- تخفيف الفقر وصيانة البيئة.

٥- تعريف دور وأهمية اتصال دعم التنمية من أجل المشاركة الفعالة فى عملية التنمية.

٦- إدارة المشروعات الصغيرة

٧- تصميم فعال لخدمات تنظيم الأسرة

٨- دور مؤسسات المجتمع المدنى في منع وإدارة وحل الصراعات فى أفريقيا.

النشرات

١- نشرة البحوث العربية

من العدد التجريبى يناير ١٩٩٠ إلى العدد الثالث عشر صيف ٢٠٠١.

٢- نشرة المجلس الأفريقى لتنمية البحوث الاقتصادية والاجتماعية (كوديسريا) من العدد الأول أبريل ١٩٩١ إلى العددالأربعون، مارس ٢٠٠٢.

٣- نشرة العلوم السياسية الافريقية

من العدد الأول إلى العدد السابع والثلاثون، يناير - مارس ٢٠٠٢.

٤- نشرة منتدى العالم الثالث بداكار.

العدد الأول يوليو ١٩٩٦- العدد الثانى يونيو ١٩٩٧

٥- نشرة المنتدى العالمى للبدائل - العدد الثالث - فبراير ٢٠٠٢.

تحت الطبع

١ - ثقافة وسائل الإعلام وتشكيل الهوية.

٢ - المشاركة الشعبية فى التنمية المحلية.

٣ - التعليم العالى والتنمية.

٤ - سنوات اليسار فى مصر.

٥ - الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

٦ - الجمعيات الأهلية الإسلامية - حالة السودان - الجزائر - تونس - المغرب.

٨ - المرأة فى القطاع غير الرسمى.

٩ - الحريات الفكرية فى شمال أفريقيا.